

محمود شلبي

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ...
إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ!



وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ . .

إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

محمود شلبي

٧٣٣١٥ - ٦٦٠٢٦ م

الإهداء

اللَّهُمَّ مِنْكَ وَإِلَيْكَ

محمود شلبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى، وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد ...

انتابني فجأة حين كنتُ أتلو ما تيسر من سورة النور، عند قراءة قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَقَتْ كُلُّ قَدْعِمْ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ ...

وهزني هزاً شديداً قوله ﴿ كُلُّ قَدْعِمْ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ ﴾

كُلُّ؟!

كُلُّ شَيْءٍ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ !!!

وأدهشتني وأخذت على عقلي، كأني لم أقرأها من قبل !!!

فَفَكَّرْتُ أَنْ أَتَّبِعَ الْأَمْرَ وَأَسْطَرَّهُ فِي صَفْحَاتٍ...

وكاد يكون عنوان الكتاب هو قوله ﴿كُلُّ قَدْعِمٍ صَلَاتُهُ

وَتَسْبِيحُهُ...﴾

ثم أثرت أن يكون العنوان قانوناً شمولياً كلياً، يشمل ما

كان وما سيكون فاخترت قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

فكان العنوان « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ » ...

إنها بحرٌ لجيٌّ ماله من قرار !!!

اللهم اجعل هذا الكتاب قُرَّةَ عَيْنٍ ... لي ... ولكلِّ من قرأه.

إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبُ الدَّعَاءِ.

رمضان ١٤١٨ هـ

يناير ١٩٩٨ م

محمود شلبي

حَيِّتَانِ . . .

إِلَى الرَّحْمَنِ . . . !

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

كان عبقرياً، بل كان ألمعياً ومُلهماً، حين اختتم صحبته،
صحيح البخاري، بهذا الحديث العظيم:

« عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « قال النبي صلى الله عليه وسلم : كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ
إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ سُبْحَانَ اللَّهِ
وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ».

[البخاري]

قالوا: ختم البخاري كتابه بالتسبيح والتحميد، كما بدأ أوله
بحديث النبي عملاً به.

« كلمتان » أي كلامان، وتُطلق الكلمة عليه، كما يقال كلمة
الشهادة.

« حَبِيبَتَانِ » أي محبوبتان، والمراد حبوية قائلهما، ومحبه
الله للعبد إرادة إيصال الخير إليه والتكريم.

« إلى الرحمن » تخصيص لفظ الرحمن من بين سائر الأسماء الحسنی لأن القصد من الحديث بیان سعة رحمة الله تعالى على عباده، حيث يجازي على الفعل القليل بالثواب الكثير.

« سُبحَانَ » ومعنى التسبيح التنزيه، يعني أنزه الله تنزيهاً عما لا يليق به.

« وَبِحَمْدِهِ » الواو للحال، أي: أسبحه ملتبساً بحمدي له، من أجل توفيقه لي للتسبيح ونحوه.

أو: لعطف الجملة على الجملة، أي: أسبّح وألتبس بحمده. والحمد هو الثناء بالجميل على وجه التفضيل.

وتكرار التسبيح للإشعار بتنزيهه على الإطلاق.

وإنِ

مِنِ

شيءٍ...؟!!

مطلع الآية رهيب .. استمع: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا

لَا بُدَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ .

﴿ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ

وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا

غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٣ - ٤٤]

وأعني بالمطلع قوله سبحانه ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ

فِيهِنَّ ﴾ !!!

السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ !!؟

العقول مهما أوتيت لا تستطيع الإحاطة بمدى اتساع هذه

السماوات السبع ...

وكيفيك هنا أن تعلم أن جميع المجرات الهائلة التي تحتوي

كل مجرة على بلايين بلايين النجوم والأقمار، تقع كلها في السماء

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

الدنيا، فكيف بباقي السموات؟!

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ التُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ !!!

هذه السموات السبع التي شأنها شأن عجب، كلها،
وسكانها جميعا، تسبح له !!!

وليس هؤلاء وحدهم هم المسبحون... كلا ﴿ وَالْأَرْضُ وَمَنْ

فِيهَا ﴾ !!!

أَيَّ أَرْضٍ هَذِهِ؟... هل هي الكرة الأرضية؟... كلا، هذا فَهْمٌ
سقيم عقيم، فما هذه الكرة الأرضية إلا ذرّة ضئيلة في متسع
الأرضين ...

إن المراد - والله أعلم - جميع الأرضين، وهذه لا حصر لها،
أرضنا هذه التي أخذت علينا تفكيرنا، واحدة من أصغرها !!!

ثم انظر إلى إحكام وشمولية قوله سبحانه ﴿ وَمَنْ فِيهَا ﴾؟!!

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

جميع من يسكنون السموات، وجميع من يسكنون
الأرضين يسبحون له!!!

كم تبلغ أعداد هؤلاء جميعاً... وكم تبلغ أصواتهم وهم
يزفزون بالتسبيح؟!!!

لا يعلم ذلك إلا الله ...

ولا يسمع جميع ذلك إلا الله !!!

فماذا بقي لنا نحن البشر لنعلمه؟!...

لا شيء... ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ !!!

ولكن لماذا هذا؟... لماذا تحتم على السموات السبع ومن
فيهنّ، والأرضين ومن فيهن أن يسبحوا له، ولا يستطيعون من
ذلك إلا قليلاً؟!!!

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

أَجْبَرُوتٌ مُتَسَلِّطٌ عَلَيْهِم يُرْغَمُهُم عَلَى التَّسْبِيحِ إِرْغَامًا وَهَم

له كارهون؟!!

كلا ... هذا جهلٌ مَنَّا عَظِيمٌ إِنْ قَلْنَا بِذَلِكَ ...

بل فطرة فطرهن الله عليها حين قال ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

حين خَلَقَ اللهُ هَذِهِ السَّمَاوَاتِ بِعَجَائِبِهَا، وَهَذِهِ الْأَرْضِينَ
بِغَرَائِبِهَا، خَرَجْتَ إِلَى الْوُجُودِ مُدَسِّبَةً بِحَمْدِهِ لِأَنَّهُ هُوَ خَالِقُهَا، فَلَا
تَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ تَعْتَرِفَ لَهُ بِذَلِكَ، وَتَقَرَّرَ بِحَاجَتِهَا إِلَيْهِ، وَتَعْلَنَ دَائِمًا
وَأَبْدًا أَنَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَى مِنْ كُلِّ مَا يَتَصَوَّرُ الْخَلَائِقُ !!!

حين أوجد الله الكائنات التي كانت، والتي تكون، والتي سوف
تكون، خرجت من العدم إلى الوجود، ناطقة بحمده، لا تعلم لها
خالقاً إلا هو، ناطقه بتسبيحه لا تعلم لها منعماً عليها إلا هو...

فكيف لا تُسَبِّحُ له، وقد كانت لا شيء، فأصبحت بحمده

شيئاً؟!!

وهذا كله ذرّة من بحار أنوار قوله عزّ من قائل:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ !!!

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ ؟!!

خطيرة جدا جدا جدا !!!

ما من شيء ؟... سبحانك !!!

نبأ عظيم من الله تعالى إلى جميع خلقه !!!

اعلموا جميعا... اعلموا أيها الملائكة ... اعلموا أيها الناس،

اعلموا أيها الجنّ ...

اعلموا يا أيها الخلق جميعا هذا الناموس الشامل لكل شيء

ما من شيء كان أو يكون ... إلا يُسَبِّحُ بحمده !!!

كذلك خلقكم جميعا ...

هو ناموس يسري فيكم جميعا ... في تكوين كل شيء ...

أَنْ يَسْبِحَ بِحَمْدِي !! ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِحُ بِحَمْدِهِ ﴾

ناموس محيط شامل لا تفلت منه ذرة ولا مَجْرَة... لا صغير
ولا كبير من الكائنات إلا ويسرى فيه هذا القانون ... ولكن المصيبة
أنا لا نسمع ولا نرى ... صُمُّ عُمِّي عما يجري حولنا؟!!

لماذا لأن الله لو كشف لنا هذه الأمواج الهدارة الدّوّارة
بتسبيحه دائماً وأبداً ... لهلكنا جميعا ...

فالحجاب رحمة ... بَنَّا الله في الحجاب لنستطيع أن نعيش
في هذه الحياة الدنيا ونتواءم مع قوانينها المادية ...

ولو قد كشف الغطاء، فأفسد معنا تسبيح كل شيء من
حولنا، لذهبت عقولنا وتبددت ولو قد كشف الغطاء فأرانا وأشهدنا
تسبيح الأنبياء من حولنا، لتخلخت عقولنا ولما استطعنا الاستمرار
في الحياة...

جعل الله بيننا وبين سماع أو رؤية تسبيح الأنبياء حجابا
مستورا ... لنستطيع أن نواصل الحياة وإلا لأصابنا الجنون ...
تصوّر لو كشف عنك حجابك ... فسمعت تسبيح الأنبياء،
ورأيت تسبيحهم، هل تستطيع أن تفهم من ذلك شيئا؟!
وحتى لو سمعت ورأيت هل تستطيع أن تفهم ماذا يقولون
وما معني ما يقولون؟

الجواب الذي ليس كمثلته جواب ﴿وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ !!

لماذا صنع الله بنا هذا الحجاب؟!

الجواب ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

وآية حلمه أن حجب عنا تسبيحهم... إرادة أن يغفر لنا ذنوبنا
...فمادام الإنسان في الحجاب...إذا أخطأ عفا الله عنه ...
لأن إدراكه حينئذ للأنبياء محدود.

﴿حَلِيمًا غَفُورًا﴾ !!!

نماذج...

من كَشَف...

الحجاب...؟!!

أو قل معجزة كشف الحجاب للأنبياء !!!

استمع :

﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾

﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾

﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ !!!

هاهنا كشف الله لداود عليه السلام الحجاب ...

فأصبح يري الجبال ويسمعا وهي تُسَبِّح ...

بل ويفقه تسبيحها، وماذا تقول في تسبيحها لربها ...

بل وتسبح معه، منتظمة على تسبيحه...

بل تأتمر بأمره إذا سَبَّح سَبَّحُوا ... ﴿ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾

كُلٌّ مِنَ الْجِبَالِ ...

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

كُلُّ من الطير ... بجميع أنواعها على مستوى الكرة الأرضية
كلها.. في الغابات في الحقول في الجبال في البحار ﴿كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ﴾
وداود يرى كل ذلك، ويسمع كل ذلك ...

بل هو قائد المجموعات كلها ... إذا سبح سبحوا، وإذا ترنم
ترنموا ...

كشّف الله لداوود حجابَه ... ها هنا ... فرأى الكرة الأرضية
كلها بجبالها كلها ... جبالها التي فوق السطح، وجبالها التي داخل
الماء...

وطيور الكرة الأرضية كلها في البر والبحر والجو ... كل
أولئك مشهودون لداوود ... مسمعون لداوود ... وداوود من
فوقهم ... إذا سبح سبحوا ... وإذا أمرهم أطاعوا ...

﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ !!!

﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ وسخرنا الطيور مجموعة منتظمة بين يديه...

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

كُلُّ لَّهُ أَوَّابٌ ... كل الجبال وكل الطيور ... لداوود أَوَّابٌ يُؤَوِّبُ

بتأويبه... ويسبح بتسبيحه !!!

كما قال في موضع آخر ﴿يَجِبَالُ أَوَّابٍ مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾

بل هناك أفق أعلى من ﴿كُلُّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي كل لله أواب،

مسبح، سواء داوود أو الجبال أو الطير !!!

هذا مثال واحد، ليستطيع أن يفهم الإنسان، أن الله وضعه

في الحجاب رحمة به، فحجب عنه رؤية وسماع تسبيح الكائنات

ليستطيع التعايش معها ...

وإنما كان داوود مثلاً رائعاً لتفهم العقول ما يصعب عليها أن

تفهم !!!

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ...

عَلَّمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ..

وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ..

استمع:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ
مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ
وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [النمل: ١٥ - ١٦]

ها هنا لطيفة يجب الالتفات إليها ...

﴿ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ لغات الطيور ... علم سليمان لغاتها
جميعا... وهذا واضح جدا في قصة الهدد مع سليمان... يتحاوران
ويتجاوبان كما يتحاور رجلان!!!

الهدد: أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبا يقين -
إلى آخره -

سليمان: سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين - إلى آخره -

وليس العجيب أن سليمان عليه السلام كان يعلم لغات الطيور وحدها، بل ولغات سائر الدواب، حتى أصغر حشرة !!

استمع :

﴿ وَحِشْرَ لَسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمُ

لَا يَحِطُّ بِكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

﴿ فَنَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٧: ١٩]

والمعجزة هنا أن سليمان عليه السلام سمع مقالة النملة... وشهد

تلك النملة وميزها من بين آلاف النمل...

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

فها هنا قد كشف الحجاب لسليمان... فسمع وشاهد النملة

وعلم ماذا تقول للنمل وبم تنصحهم!!

بل كان يعلم لغة الجن ويشهدهم ويأمرهم ويطيعون!!!

استمع:

﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِي ۗ

أَمِينٌ ﴾ [النمل : ٣٩]

ومعلوم أن البشر لا يرون الجن، والعكس صحيح، الجن يرى

البشر ! ﴿ إِنَّهُ دَرَبَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾

ولكن سليمان عليه السلام كان يرى الجن ويتكلم مع الجن ويأمر

وينهي الجن، وهم طائعون خائفون!!

لقد آتاه الله سلطانا عظيما على هذه الكائنات ...

﴿ وَحِشْرَ لَسِيمَانَ جُنُودَهُ، مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ﴾ جنوده؟! ...

قواته من هذه الأنواع!!!

ومن هذا المثال الرائع ... مثال سايهان عليه السلام ... نتعلم منه
أن الله إذا أذن فكشف الحجاب للإنسان ما ... رأى هذا الإنسان ...
وسمع ... الكائنات التي كان محجوبا عنها من قبل ...

فإذا بها أمم وعوالم عجيبة لها قوانينها المنتظمة عليها...
وسمع منها تسيبها لربها، بلغاتها المختلفة... بينما الإنسان
الطبيعي المحجوب... لا يفقه من تسيبها شيئا... ﴿ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ
تَسْبِيحَهُمْ ﴾ !!!

عندما قال . . الجبلُ والشجرُ:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . .

ومُعْجَزَاتُ أُخْرَى . . ؟ !

« عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا فَمَا اسْتَقْبَلَهُ جَبَلٌ وَلَا شَجَرٌ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ». .

[أخرجه الترمذي]

« وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ بِمَكَّةَ حَجْرًا كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ لِيَأْتِيَ بُعِثْتُ، إِنْ لَأَعْرِفُهُ الْآنَ ». .

[أخرجه الترمذي]

وقال ابن إسحاق: وحدثني عبد الملك بن عبيد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي، وكان واعية، عن أهل العلم:

« أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كِرَامَتَهُ، وَابْتَدَأَهُ بِالنَّبُوءَةِ كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى تَحْسُرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ، وَيَفْضَى إِلَى شُعَابِ مَكَّةَ وَبَطُونِ أَوْدِيَّتِهَا فَلَا يَمُرُّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَجْرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَيَلْتَفِتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

حوله، وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة،
فمكث رسول الله ﷺ كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ثم
جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله، وهو بحراء في شهر
رمضان»

« وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ إِلَى لِرْقٍ
جَدْعٍ وَاتَّخَذُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَخَطَبَ عَلَيْهِ فَحَنَّ الْجَدْعُ حَنِينَ النَّاقَةِ فَنَزَلَ
النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَّهُ فَسَكَتَ . »

[أخرجه الترمذي]

« وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:
بِمَا أَعْرِفُ أَنْكَ نَبِيٌّ؟ »

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

قال: إن دعوتُ هذا العذق^(١) من هذه النخلة أتشدُّه أني
رسولُ الله؟

فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ
إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: ارْجِعْ فَعَادَ فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ «.

[أخرجه الترمذي]

« وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ صَلَاةَ
الْعَصْرِ، وَالتَّمَسَّ النَّاسُ الْوُضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ^(٢)

فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوُضُوءٍ^(٣)

فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ
يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ

(١) العذق: كل غصن له شعب، عذق النخلة: قطع سعفها.

(٢) الوضوء: الماء الذي يتوضأ به.

(٣) بوضوء: بماء في إناء.

قال: فَرَأَيْتَ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ

فَتَوَضَّأَ النَّاسُ، حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ»

[أخرجه الترمذي]

« وعن عبد الله قال: إِنَّكُمْ تَعُدُّونَ الْآيَاتِ عَذَابًا، وَإِنَّا كُنَّا نَعُدُّهَا
عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَرَكَةً لَقَدْ كُنَّا نَأْكُلُ الطَّعَامَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ
وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ

قال: وَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ فَوَضَعَ يَدَهُ فِيهِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ
بَيْنِ أَصَابِعِهِ

فقال النبي ﷺ: حَيَّ عَلَى الْوُضُوءِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَةَ مِنْ
السَّمَاءِ حَتَّى تَوَضَّأُوا كُلُّكُمْ.»

[أخرجه الترمذي]

ثم أقول:

كانت هذه مجموعة من معجزات النبي ﷺ ... ولا نغنى
بسردها عرض ألواناً من معجزاته ﷺ... وإنما الوجه الذي نفتبسه
من سردها، هو زيادة العلم أن لله في خلقه شئوناً ...

ومن هذه الشئون ما جاء في الحديث الأول عن علي « فما
استقبله جبلٌ ولا شجرٌ إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله »
ها هي الجبال، وها هي الأشجار تنطق وتقول

« السلام عليك يا رسول الله » !!

فإن جرّت وقلّت: كيف؟...

كان الجواب: وكان الله علي كل شيء مقتدرًا !!!

ومن شئونه تعالى ما جاء: في الحديث التالي لذلك الحديث
عنه ﷺ حيث قال: « إن بمكة حَجْرًا كان يُسَلِّمُ عَلَيَّ لِيَالِي بُعِثْتُ، إِنِّي
لَأَعْرِفُهُ الْآنَ » !!

ها هو ذلك الحجر المبارك كان يسلم علي رسول الله ﷺ

ها هو الحجر ينطق ويسلم عليه ﷺ!!!

ويؤكد ﷺ ذلك المشهد المقدس فيقول إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ!!

ومن شأنونه تعالى ما ذكرنا من سيرة ابن هشام « فلا

يمرُّ رسولُ الله ﷺ بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا

رسول الله فيلتفت رسول الله ﷺ حوله وعن يمينه وشماله وخلفه

فلا يرى إلا الشجر والحجارة « !!!

مشهد مقدس جميل...رسول الله ﷺ يسمع عندما يمر

على حجر أو شجر يقول له مُحَيِّياً « السلام عليك يا رسول الله «!!

ما من حجر، ما من شجر يمرّ عليه إلا يقول له « السلام

عليك يا رسولَ الله « !!

إِنَّ الْحَجَرَ يُحَيِّ حَبِيبَ اللَّهِ ﷺ !!

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

إِنَّ الْحَجَرَ، وَإِنَّ الشَّجَرَ يَنْطِقُ !!

فيلتفت رسول الله ﷺ حوله وعن يمينه وشماله وخلفه، لا يرى إلا الشجر والحجارة !!! ﷺ ها هي الاشجار، وها هي الأحجار تنطق!!!

وها هو ﷺ يسمع ما تقول!!!

ومن شأنونه تعالى ما جاء في الحديث الآخر « أن رسول الله ﷺ حَظَبَ إِلَى لِرْقٍ جِدْعٍ، وَاتَّخَذُوا لَهُ مَنِيرًا، فَخَطَبَ عَلَيْهِ، فَحَنَّ الْجِدْعُ حَنِينَ النَّاقَةِ، فَزَلَّ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَّهُ فَسَكَتَ » !!!

وهذه معجزة أعجب أعرب، جذع نخلة كان ﷺ يخطب عليه، فلما اتخذوا له منبراً فخطب عليه وترك الجذع، حَنَّ الجذع حنيناً الناقة !!!

ها هو الجذع، الجماد - في تصورنا - يحنُّ حنين الناقة، شوقاً إلى رسول الله ﷺ ...

ها هو الجذع ينطق ويتأوه!!! فماذا كان؟! نزل النبي ﷺ
فمَسَّه... فماذا كان من الجذع؟... فسَكَتَ!!!

إنَّ الجماد ينطق، وإنَّ رسول الله ﷺ يَمَسُّه فيسُكُتُ!!!

وأعجب من هذا وأعرب « جاء أعرابيُّ... فقال: بما أعرفُ أنكَ
نَبِيٌّ؟ ما الدليل أنك نبي؟!

فقال رسول الله ﷺ إن دَعَوْتُ هَذَا العِذْقُ مِنْ هذه النخلةِ
أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ الله؟

فدعاه رسول الله ﷺ!!! فماذا حدث؟ حدث عَجَبًا!!!

فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النخلةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَبِيِّ ﷺ، عِذْقُ مِنَ
النخلةِ يَدْعُوهُ ﷺ... فينفصل فوراً عن النخلة، وينزل من عُوِّ النخلةِ
إلى رسول الله ﷺ...

بل وأعجب من هذا: ثم قال: ارْجِعْ فَعَادًا!!!

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْعَذْقَ أَنْ يَرْجِعَ... فَأَطَاعَ الْأَمْرَ، وَعَادَ إِلَى مَكَانِهِ
الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مِنَ النَّخْلَةِ!!!

فماذا فعل الأعرابي؟

فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ!!!

هذا الغصن من النخلة يُدْعَى فينزل، ثم يُؤَمَّرُ فيرجع كما كان!!!

نبات - نتوهم أنه لا يفهم - وما هو يفهم وينفذ فوراً ما

يطلب منه !!

وهذا يُقَرَّبُ إِلَى عَقُولِنَا ﴿وَلَكِنْ لَأَنْفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وَإِنَّمَا الْأَنْبِيَاءُ

بِمَا أُوتُوا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ، وَيَفْقَهُونَ كَلَامَهُمْ مَتَى شَاءَ اللَّهُ!!!

وَأُخْرَى مِنْ تِلْكَ الْمَعْجَزَاتِ وَهَاتِيكَ الْغَرَائِبُ:

« فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَوْضُوءَ^(١)، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ

(١) بوضوء: بقليل من الماء للوضوء.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده
في ذلك الإِناء، وأمر الناس أن يتوضَّؤوا مِنْهُ، فرأيتُ الماءَ ينبُعُ مِنْ
تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فتوضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ « !!!

المشهد... لا يوجد ماء

يتوضأ منه الناس، وربما كانوا مئات ومئات فأتى رسول الله
ﷺ بقليل من الماء ليتوضأ به...

ولكن هؤلاء المئات من أصحابه كيف يتوضئون وهذا الماء لا
يكاد يكفيهِ؟!

هنالك كانت المعجزة!!! وضع رسول الله ﷺ يده الشريفة
المباركة في ذلك الإِناء، وأمر الناس أن يتوضَّؤوا منه يقول أنسُ
فرأيتُ الماءَ ينبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ!!!

ثم يقول فتوضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّؤُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ !!!

إنها معجزة للنبي ﷺ!!!

أقول: ولكن هل هناك مشهد محسوس ملموس يتخذ
دليلاً على أن الجماد يسبح؟!

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

ها هو الدليل فى هذا المشهد: لَقَدْ كُنَّا نَأْكُلُ الطَّعَامَ مَعَ النَّبِيِّ
ﷺ وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ!! تَأَمَّلْ... عِدُدْ وَاغْرُ مِنْ الصَّحَابَةِ
يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمَشْهَدُ الْعَجِيبُ هُنَا أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ
تَسْبِيحَ الطَّعَامِ!!!

ها هي الجمادات... ها هي الأطعمة تُسَبِّحُ... وها هم الصحابة
ﷺ يسمعون تسبيح ما كانوا يأكلون!!!

وماذا كان بعد أن طعموا جميعاً... وسمعوا تسبيح
الطعام؟!!

« وَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِإِنَاءٍ فَوَضَعَ يَدَهُ فِيهِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَبْغُ مِنْ
بَيْنِ أَصَابِعِهِ

فقال النبي ﷺ: حَيَّ عَلَى الْوُضُوءِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَهَ مِنْ
السَّمَاءِ حَتَّى تَوْضَأْنَا كُلَّنَا « !!!
مشهد فيه مشاهد!!!

طعموا جميعا... وسمعوا تسبيح الطعام... هذا مشهد...

ثم شهدوا جميعا الماء ينبع من بين أصابعه الشريفة...

ماءً كثيراً مباركا... وهذا مشهد آخر... ثم شهدوا جميعا
النبي ﷺ يقول: حَيَّ عَلَى الْوُضُوءِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَاتِ مِنَ السَّمَاءِ!!!
وهذا مشهد ثالث... ثم شهدوا أنفسهم يتوضئون جميعا من ماء
مبارك لا ينفد، وقد كان من قبل قليلا يكفي وضوء فرد واحد!!! وهذا
مشهد رابع...

وأخيراً أقول: كانت هذه النماذج من معجزاته ﷺ... سردناها
ليعلم من نشاء الله له أن يعلم، الجهاد يمكن أن ينطق، وأن يتكلم،
وأن يشعر ويتأوه، وأن يطيع الأمر ويفعل ما يؤمر...

وأنَّ الجهاد يمكن أن يُسَبِّح... وهذا كله يقربنا من فهم قوله

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

سُبْحَانَ اللَّهِ . . .

عَدَدَ خَلْقِهِ . . . !

« عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ^(١): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهَا وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا ثُمَّ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِهَا قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ

فَقَالَ لَهَا: مَا زِلْتِ عَلَى حَالِكِ؟

فَقَالَتْ: نَعَمْ

قَالَ: أَلَا أَعْلَمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ،
سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ

سُبْحَانَ اللَّهِ رِضًا نَفْسِيهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رِضًا نَفْسِيهِ،

سُبْحَانَ اللَّهِ رِضًا نَفْسِيهِ،

سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِيهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِيهِ،

سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِيهِ،

سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ،

(١) أم المؤمنين رضي الله عنها.

سُبْحَانَ اللَّهِ مَدَادَ كَلِمَاتِهِ،

[أخرجہ الترمذی، وقال: هذا حديث حسن صحيح]

وَعَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهَا رضي الله عنه : أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى امْرَأَةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا نَوَى أَوْ حَصَى^(١)، تَسْبِيحَ بِهِ^(٢)

فَقَالَ: أَخْبِرُكَ^(٣) بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا، أَوْ أَفْضَلُ؟^(٤)

فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ

سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الْأَرْضِ

سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ

(١) أو حصى: أو للشك من الراوي.

(٢) أي تعد به التسبيح.

(٣) أخبرك: أي أخبرك؟ فحذفت همزة الاستفهام تخفيفاً.

(٤) أو هلنا للشك أي من الراوي.

سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ

وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِثْلُ ذَلِكَ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلُ ذَلِكَ

وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِثْلُ ذَلِكَ

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ مِثْلُ ذَلِكَ

[رواه أبو داود والترمذي.. والنسائي وابن حبان في صحيحه،

والحاكم وقال: صحيح الإسناد]

« وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: رَأَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أُحْرِكُ شَفَتَيْ

فَقَالَ لِي: يَا بَيِّ شَيْءٍ تُحْرِكُ شَفَتَيْكَ يَا أبا أُمَامَةَ؟

فَقُلْتُ: أَذْكُرُ اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَكْثَرِ وَأَفْضَلِ

مَنْ ذَكَرَكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؟

قلت: بلى يا رسول الله

قال: تقول: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ

سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ

سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ

سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ

سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ^(١)

سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ^(٢)

سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ^(٣)

سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ^(٤)

(١) أي عدد ما ضبطه كتابه وعدّه، والمراد به اللوح المحفوظ.

(٢) أي مقدار ما يملأ الأَشْيَاءَ التي أحصاها كتابه.

(٣) أي عدد الأَشْيَاءِ كلها، والشْيءُ معناه الموجود.

(٤) أي مقدار ما يملأ كل شَيْءٍ مما يمكن أن يملأ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِنْ مَلَأَ مَا خَلَقَ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِنْ مَلَأَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا أُخْصِيَ كِتَابُهُ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِنْ مَلَأَ مَا أُخْصِيَ كِتَابُهُ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِنْ مَلَأَ كُلِّ شَيْءٍ

[رواه أحمد، وابن أبي الدنيا واللفظ له، والنسائي، وابن

خزيمة، وابن حبان، في صحيحها باختصار، والحاكم وقال: صحيح

على شرط الشيخين]

وأخيرا أقول على خوف: إذا تأملت ما قاله ﷺ في هذه

الأحاديث، أيقنت وازددت يقينا أن أحدا لا يستطيع، ولن يستطيع أن

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

يقول مثل هذا القول، إلا رسول الله ﷺ!!!

لماذا؟!... لأن الأفق الأعلى الذي يتحدث منه ﷺ لا يرى ما

فيه أحد سواه ﷺ!!! ﴿ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ﴾!!!

نعم... هذا المستوى الذي لا يدرك الذي ينزل ﷺ منه إلى
عقولنا الضعيفة المحدودة لنعلمنا كيف نُسبِّح بأسلوب يعُمُّ الوجود
كله!

وكيف يرفع مستوى تسبيحنا إلى الأفق الأعلى من أفق
إدراكنا المحدود

فجاء كلامه ﷺ جوامع من التسبيح والتحميد والتهليل
والتكبير!!!

سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ؟!!

هل أفلت شيئاً إلا أحصيته؟

وهل يخرج أي شيء عن دائرتها؟! أو انظر الى هذه:
سبحان الله رَضًا نَفْسِيهِ؟... الى أي مدى تبلغ بحار هذه الكلمة؟...

وهذا التعبير الجامع من يستطيع أن يحاكيه؟!!! أو انظر الى
هذه.. سبحان الله زنه عرشه؟!.. لا يعلم إلا الله زنه عرشه سبحانه!!
أو إلى هذه الرابعة العظمى ... سبحان الله مداد كلماته؟!... ما عدد
كلماته... وما مبلغ مداد كلماته؟!... لا أحد يعلم من ذلك شيئاً... ولا
نملك إلا أن نردد قوله تعالى:

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ
جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ ﴿ لو أخذت الكلمة الأولى وحدها (سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ
خَلْقِهِ) وحركت بها شفقتك، فمعنى ذلك أنك ترفع مستواك، من
دائرة الحياة الدنيا، الى دائرة الوجود كله، ما مضى منه، وما يمضى،
وما سوف يكون!!! عدد خلقه؟!!!

إن الله هو الخلاق العليم... خلق كل شيء...

وما زال يخلق، وسوف يخلق!!! فكم عدد ما خلق!!!

أنت تفوض ذلك إلى علام الغيوب...

وإنما تمد تسبيحك بقولك (عَدَدَ خَلْقِهِ) ليشمل كل ما خلق

وما سوف يخلق... فانظر المستوى الذي رفعك إليه رسول الله ﷺ

حين أمرك أن تقول:

سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ؟!!

وهكذا يمكنك أن تفهم باقي التسابيح التي قالها ﷺ خلال

الأحاديث الواردة في الباب!!!

سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ . . .

صَلَاةُ الْخَلْقِ . . .

وَبِهَمَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ . ؟

« عن سليمان بن يسار رضي الله عنه، عن رجل من الأنصار: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال نُوحٌ لأبْنِه: إني مُوصِيكَ بوَصِيَّةٍ وقاصِرها^(١)، لكي لا تنساها: أوْصِيكَ باثْنَيْنِ، وأنْهاكَ عن اثْنَيْنِ

أما اللتان أوْصِيكَ بهما: فيسْتَبْشِرُ اللهُ بهما، وصالح خلقه،
وهما يكثران الولوج^(٢) على الله

أوْصِيكَ بلا إله إلا اللهُ، فإن السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ لو كانتا حلقة
قصمتهما^(٣)

ولو كانتا في كفة وزنتهما^(٤) وأوْصِيكَ: بسبْحانِ اللهُ وبحمده

(١) قاصرها: موجزها ومختصرها.

(٢) الولوج: الدخول.

(٣) قصمتهما: أي كسرتهما.

(٤) وزنتهما: يعني رجحتهما في الميزان.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

فإنهما صلاة الخلق^(١) وبهما يرزق الخلق وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً.

وأما اللتان أنهما فحجب الله منهما، وصالح خلقه:

أنهاك عن الشرك والكبر

[روله النسائي، واللفظ له، والبزار والحاكم، وقال الحاكم

صحيح الإسناد]

وأقول: نركز هاهنا على قوله: « وأوصيك بسبحان الله

وبحمده، فإنهما صلاة الخلق، وبهما يرزق الخلق » !!!

ماذا في هذا؟! ... فيه كشف عظيم... لسر عظيم... من

أسرار الخلق!!!

سبحان الله وبحمده؟!

(١) الخلق: أي المخلوقات كلها من سماوات وأرض وجبال وريح ووحش وطير... إلخ.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

فإنهما صلاة الخلق؟!

وبهما يرزق الخلق؟!

ينبغي على كل كائن، على كل إنسان أن يتفكر فيها ملياً

سبحان الله وبحمده وصلاة الخلق؟!!!

وبهما يرزق الخلق؟!!

فإن استغلق عليك الأمر وقلت في نفسك: كيف تكون هذه

الكلمة صلاة الخلق كلهم... وكيف: بهما يرزق الخلق؟!!

إذا تقلبت في هذه الوسواس واشتدت حيرتك... جاءك

الغوث: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ... فإن قال وسواسك: ولكني لا

أفهم شيئاً مما يقول الخلق في تسيبهم؟... جاءك الغوث مره

أخرى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ !!! أقول إن الله أقام العباد فيما

أراد....

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

فما من شيء إلا يسبح بحمده وهذه هي صلاة الخلق كأن
الكون كله... بجميع كائناته... يعزف تشييداً واحداً: سبحان الله
وبحمده، ولكن لا تفهم كل طائفة إلا تسبيحها هي...

أما تسبيح ما سواها فهي لا تفقه منه شيئاً!!! وهذا من بديع
تدبيره سبحانه في خلقه...

﴿كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ﴾؟!... ولكن لكل كائن إيقاعه الخاص به يسمعه

ويطرب له، ولا يسمع إيقاع ما سواه!!!

ومثال ذلك... نحن البشر... نحن الآدميون... كثير منا يذكر
الله... ويقول سبحان الله وبحمده... ولكن لا نسمع مثلاً تسبيح
الملائكة، الذي يملأ الأكوان كلها...

إن البشر محجوبون بحكم تركيبهم المادي الكثيف عن
سماع تسبيح الملائكة، رغم أن ملائكة لا يفتر عن التسبيح دائماً
وأبداً... وهذا من بدائع الصنع الإلهي... ليستطيع البشر أن ينتظموا
في دنياهم... ولكن إذا شاء الله أن يظهر أحداً من عباده على

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

تسبيح هذه الكائنات، كشف له ما نشأ من ذلك... كما حدث لداود
وسليمان عليهما السلام ﴿يَجِبَالُ أَوَّي مَعَهُ وَالطَّيْرَ...﴾ وكما هو
حادث لجميع أنبياء الله، بالقدر الذي يشاؤه سبحانه

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ
فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن ٢٦ - ٢٧]

وإنما كان ذلك كذلك، لأن الأنبياء عليهم السلام مؤهلون
لذلك!!!

بقي من الناموس شطره الثاني وهو قوله « وبهما يرزق
الخلق » وهذا حق لا ريب فيه، ولكن كيف؟!

كيف يرزق الخلق بسبحان الله وبحمده؟!!

يا أيها الناس جميعا فكروا معي فإن الأمر يتعلق بتكوينكم
واستمراركم في الحياة!!!

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

هل هناك ارتباط بين رزق الخلق وتسبيحهم، بمعنى أنهم
يرزقون إذا سبحوا، ويمنعون الرزق إذا توقفوا عن التسبيح؟! أم
أن الأمر وراء ذلك التصور؟!

بيدو لفهمي الضئيل أن المعنى والله أعلم:

من حيث إنه وإن من شيء إلا يسبح بحمده أي وإن من موجود
يوجد إلا وهو يسبح بحمده، فكان مقتضى ذلك أن يرزق هذا الموجود
المسبح بحمده حق الحياة. أن يرزق حق الحياة، وأن يقوم حيًّا!!

خلاصة الأمر: كل شيء يسبح بحمده، وهذه صلاة الخلق
العامة... وكل شيء خرج إلى الحياة مسبحًا بحمده... فاستمر حيًّا
لأنه يسبح بحمده... وهذا هو رزقه « وبهما يرزق الخلق » ...

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾

والله أعلم بالصواب!!!

الذين يحملون العرش . . .

ومن حوله . . .

يسبحون بحمد ربهم . . . ؟

استمع وتعجب وسبح: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ
بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ
رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا
وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ
السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿غافر ٧ - ٩﴾

هذا نبأ عظيم... عظيم... عظيم!!!

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾...!؟

جاء في (الدر المنثور في التفسير المأثور) للسيوطي :
«عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أذن لي أن أحدث
عن ملك قد مرقت رجلاه الأرض السابعة، والعرش على منكبه وهو
يقول: سبحانك أين كنت ؟ وأين تكون ؟».

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

« وعن هارون بن رباب رضي الله عنه قال : حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت رخيم.

يقول أربعة منهم: « سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك»

وأربعة منهم يقولون : « سبحانك وبحمدك على حاكمك بعد علمك »

« وعن ميسرة رضي الله عنه قال : لا تستطيع الملائكة الذين يحملون العرش أن ينظروا إلى ما فوقهم من شعاع النور .

ومما جاء في التفسير: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: يقولون سبحان الله وبحمده.

﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يقولون ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ أي: وسعت رحمتك كل شيء ، وعلمك كل شيء ﴿ فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا ﴾ من الشرك ﴿ وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ ﴾ دين

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

الإسلام ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾ إقامة ﴿ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وَدُورَيْتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ في صنعه.

﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ﴾ أي عذابها...

ثم أقول : الله أعلم بالذين يحملون العرش ، ومن حوله من
الملائكة...

هو وحده سبحانه خلقهم ، وهو أعلم بهم...

وإنما النبأ العظيم الذي نُرَكِّزُ عليه في هذا المبحث ونعلمه
من هذه الآيات أن حملة العرش، ومن حوله من الملائكة ﴿ يُسَبِّحُونَ
بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: يقولون: سبحان الله وبحمده!!!

فأنت حين تقول: سبحان الله وبحمده... فأنت تُؤَوِّبُ كما
يُسَبِّحُ الذين يحملون العرش ومن حوله ، وتقول كما يقولون :
سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ!!!

فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ...

دَعْوَتُهُمْ فِيهَا .. سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ..

وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ .!؟

استمع إلى هذه المقدسة^(١): ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١﴾ دَعَوْتُهُمْ
فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس ٩ - ١٠]

اللهم اجعلنا وإياكم منهم!!!

﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ نعم... أعددتُ لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت
ولا أُذن سمعتُ ولا خطر على قلب بشر!!!

هنالك في جنات النعيم... يسري ويمتد ناموس ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ
بِحَمْدِهِ ﴾ ... بل ويظهر على أوسع صور الظهور!!! عالم الجنات... وهو
عالم تجلي الجمال الإلهي... هو عالم التسبيح على أوسع مظاهر
التسبيح.

أمواج التسبيح تتلأأ وتتعالى وتندمج بحارها وأنوارها...

(١) أعني الآية الكريمة.

﴿كُلُّ لَهْوٍ أَوَّابٌ﴾ كل ما في الجنّات يُؤَوَّب... يُسَبِّح... استمع مرة

أخرى: ﴿... فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿١﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ...﴾ !!!

جاء في التفسير: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا﴾ طلبهم لما يشتهون في الجنة أن

يقولوا ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ أي يا الله، فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم

﴿وَحَيْثُ هُمْ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلَمٌ^ع وَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ﴾ مفسرة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ !!!

ها هنا ناموس عجيب جدا!!!

إذا نشاءوا شيئاً قالوا: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، فإذا قالوا ذلك وجدوا ما

يشاءون ماثلاً بين أيديهم!!!

مجرد الرغبة تُحدث الشيء!!! دعواهم فيها سبحانك اللهم!!! عالم

عجيب... بل عوالم عجيبة!!!

وها هنا ندرك سرّاً ما جاء في الحديث « فَأِنَّهُمَا صَلَاةُ الْخَلْقِ ، وَبِهِمَا

يُرْزَقُ الْخَلْقُ » !!!

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

أهل الجنة إذا شاءوا شياً قالوا: سبحانك اللهم، فإذا بالشيء بين أيديهم... تأمل « وبهما يُرزق الخلق » بسبحان الله، بقولهم سبحانك اللهم جاءهم ما يشاءون!!!

عوالم الجنات... نعيم لا يخطر على قلب بشر... لقد تجلى الجمال الإلهي... لا يحجبه شيء... فاهتز كل شيء... سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ!!!
الكل يسبح الله سبحانه...

والكل ينعم بشهود أمواج الجمال تتلأأ وتتعالى...

جاء في الحديث في وصف أوّل زُمرَة تدخل الجنة: « قلوبهم قلبٌ واحد، يُسبِّحون الله بُكْرَةً وَعَشِيًّا » أي متشابهة، كلها متوجهة إلى ربّها، دائمة التسبيح له سبحانه.

« وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله عزّ وجلّ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ »

واقرءوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ .

وفي حديث آخر: « قال رسول الله ﷺ: بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نورٌ فرَفَعُوا رءوسهم فإذا الربُّ جلَّ جلاله قد أشرَفَ عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة وهو قوله عز وجل سلام قولاً من رب رحيم » فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنه وتبقى فيهم بركته ونوره.»

اللهم لا تحرمنا هذا النعيم يا أرحم الراحمين!!!

الخلاصة: الجنة نعيم فوق التصور... وهي عالم يظهر فيه التسبيح على أوسع ما يتصور، بل وراء التصور...
الكل يسبح... الملائكة يسبحون... أهل الجنة يسبحون...
ومالهم لا يسبحون وقد شاهدوا عجائب القدرة وآيات العظمة لا يحجبها حجاب؟!!!

سُبْحَانَ ...

الَّذِي خَلَقَ ...

الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا...؟!!

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ

الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يسس ٣٦]

وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[الذاريات ٤٩]

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾

[النجم ٤٥، ٤٦]

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الزَّيْرُكُ نُطْفَةٌ مِّن مِّمِّي يُمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾

جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [القيامة ٣٧ - ٣٩]

وقال سبحانه: ﴿... وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلْنَا فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ...﴾

[الرعد ٣]

وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهَا زَوْجَهَا ...﴾

[الرُّمَّ ٦]

وأقول: القرآن يُفسر بعضه بعضاً؟!

هذه قاعدة عامة... إذا طبّقناها على هذه الآيات ... كان معناها هكذا:

الناموس العام الساري الجاري في كل شيء... أنه زوجان... ذكر وأنثى... موجب وسالب... ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾!!!

فإذا جئت إلى مرتبة الإنسان وجدت جنس الإنسان يحدد نوعه من إخصاب الذكر للأنثى... ومن هذا القانون تكونت البشرية كلها!!!

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ خلقكم من آدم، وجعل من آدم حواء... ومنهما كان البشر جميعاً إلى يوم القيامة ﴿جَعَلْنَا مِنَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾!!!

فإذا جئت إلى مرتبة الحيوان... وجدت نفس الناموس... تناسل ناسئاً عن إخصاب الذكر للأنثى!!!

﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ زَوْجٍ﴾ [الرّم ٦]

وهي الواردة في قوله: ﴿ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِزِ اثْنَيْنِ...﴾ وقوله: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ...﴾

[الأنعام ١٤٣، ١٤٤]

فإذا جئت إلى مرتبة النبات طالعك نفس الناموس... أعضاء
التذكير وأعضاء التأنيث في النبات ﴿وَمِنَ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلْنَا فِيهَا زَوْجَيْنِ
اثْنَيْنِ...﴾!!!

اثنين؟!!

حتى لا يتوهم واهم أن النبات ليس فيه زوجان... ذكر
وأنثى... كلا إنهما زوجان... إنهما ذكرٌ وأنثى...

فإذا جئت إلى مرتبة الجماد... وجدت الذرة فيها موجب
وسالب... ﴿وَمِنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ...﴾!!!

فإذا فكرت ثم فكرت لا تملك إلا أن تهتف: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ

الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ !!!

وضع خطأً سميكاً تحت قوله ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ !!!

من دلائل . . .

الإعجاز . . . !!

إذا فتح الله عليك ففكرت في قول العزيز الحكيم: ﴿وإن من

شئ إلا يسبح بحمده...﴾

وقوله تعالى: ﴿وإن من شئ إلا عندنا خزائنه...﴾

وقوله سبحانه: ﴿ومن كل شئ خلقنا زوجين...﴾

تحتم أن يتأكد عند كل ذي عقل، أن هذا الكلام كلام الله

حقاً وصدقاً!!!

لماذا هذا؟!!

لأن أي كائن لا يستطيع أن يطلق هذه المعلومة ﴿وإن من

شئ﴾ و ﴿ومن كل شئ﴾ ... أن يطلق هذه الشمولية لكل شيء

إلا إذا كان قد أحاط بكل شيء علماً... وإلا من أين له ذلك الزعم

الخطير؟!!

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

ومن حيث إنه لا أحد أحاط بكل شيء علما، فلا أحد يجرو

على النطق بهذه الشمولية على الإطلاق!!!

ومن حيث إن الخلق أجمعين لم يحيطوا بكل شيء علما...

فتحتهم أن يكون هذا الكلام كلام الذي قد أحاط بكل شيء علما...

وذلكم هو الله!!!

هو وحده الذي وَسِعَ كل شيء علما!!!

فهو وحده الذي يقدر أن يقول: ﴿وإن من شيء إلا يسبح

بحمده...﴾!!!

لأنه هو وحده خالق كل شيء... فهو يعلم حقيقة كل

شيء... وماذا يصنع كل شيء!!!

وهو وحده الذي يقدر أن يقول: ﴿وإن من شيء إلا عندنا

خزائنه...﴾

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

لأنه هو وحده المسيطر على خزائن كل شيء... ويعلم ما
في هذه الخزائن... ومتى تخرج إلى الوجود؟

وهو وحده الذي رَكَّب الكائنات جميعا ويعلم كيف رُكِّبَتْ ...
فهو وحده الذي يقدر أن يقول ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ... ﴾ !!!

هناك استحالة أن ينطق بهذه القوانين الشمولية إلا من
علم كل شيء... وخلق كل شيء... وركَّب كل شيء... وأعطى
كل شيء خلقه!!!

هذا كله وجه واحد من وجوه الإعجاز التي لا تنهاى!!!

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى...

عَمَّا يَقُولُونَ...

عُلُوءًا كَبِيرًا...؟!

اللهم افتح علينا فتحا جميلا!!!

قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْنَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا

﴿٤٢﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عَلُوًا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

[الإسراء ٤٢ - ٤٤]

الإنسان... كل إنسان... ذكرًا كان أو أنثى...

هو دائما في حيرة شديدة من جهة فهمه عن الله!!!

أسئلة دائما تلح عليه في أعماق أعماقه!!!

يقول في نفسه على استحياء أن يفصح عما يدور في

صدره!!!

هل هناك إله؟!

لماذا لا يكون هذا الوجود محض صدفة لم يخلقه أحد؟!

وإذا كان هناك إله، فهل هو إله واحد أم آلهة كثيرون؟!

ولماذا لا يكون معه آلهة؟!

وإذا كان واحداً فلماذا يُدبّر وحده أمور الأشياء كلها؟!

وإن كان موجوداً، فكيف هو، ومتى هو، وإلى أين هو؟!

ما صورته، ما حياته، هل يشبهه شيء؟!

هل نستطيع أن نراه، أو نسمعه، أو نعلمه؟!

وإذا كنا لا نستطيع أن نراه أو نسمعه، فكيف نعبد شيئاً لا

نراه ولا نسمعه، ولا نعلم عنه شيئاً؟!

إلى آخر هذا السّيال الملحّ على عقل الإنسان لا يدعه لحظة

مادام حيّاً!!!

والإنسان المؤمن والإنسان الكافر في مطاردة هذه

الوساوس لهما سواء!!!

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

والفرق بينهما أن المؤمن يستغفر الله إذا وجد من ذلك شيئاً ويستعين بالله من الشيطان الرجيم ولا يسترسل في خيالاته وأوهامه!!!

بينما الانسان الكافر يسترسل في وساوسه، بل وقد يؤسس عقيدته نحو الله على أساس من وساوسه، فيصدّقها ويعتقد أن لا إله هناك، وأنّ الذين يقولون بلا إله إلا الله، ويذهبون إلى الاعتقاد بوجود إله، قوم بلهاء مغفلون، تخيلوا أوهاماً ثم اعتقدوها!!!

إلى آخر... ما يقولون!!!

« عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ؟

فيقول: الله

فيقول: مَنْ خَلَقَ الله؟

فإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَذْهَبُ عَنْهُ^(١)» [رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني]

« وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رضي الله عنه قَالَ: تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَاذَا يُنْجِينَا مِمَّا يُلْقِي الشَّيْطَانُ مِنْ أَنْفُسِنَا؟^(٢) فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: قَدْ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: « يُنْجِيكُمْ مِنْهُ مَا أَمَرْتُ بِهِ عَمِّي أَنْ يَقُولَهُ فَلَمْ يَقُلْهُ » [رواه أحمد]

وقالوا: « يعني لا إله إلا الله، فإن أبا طالب لما حضرته الوفاة جلس النبي صلى الله عليه وسلم عند رأسه وقال له: يا عمّ، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال له أبو جهل: أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فأعادها عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فأعاد أبو جهل مقالته، فكان آخر كلمة قالها أبو طالب، هو على ملة عبد المطلب. »

(١) يعني أن نور هذا الإيمان يحرق تلك الوسوس ويزيها فلا يبقى لها أثر.

(٢) أي في أنفسنا من الوسوس والهواجس.

« وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ وَمَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ^(١) فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيُنِّهْ^(٢). »

[رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي]

وفي رواية لمسلم: « فَيُقَلُّ: أَمِنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُوْلِهِ. »

وفي رواية لأبي داود والنسائي: « فقولوا: اللهُ أَحَدٌ، اللهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ »

« ثم لينفل عن يساره ثلاثا وليستغذ بالله من الشيطان. »

وفي رواية للنسائي: « فليستغذ بالله منه، ومن فتنه. »

قالوا: « ولا شك أن سورة الإخلاص بما فيها من إثبات الأحادية الكاملة، والصدية التي معناها استغناؤه سبحانه عن كل

(١) أي فإذا انتهى في وسوسته إلى هذا الحد.

(٢) وليكف عن الاسترسال مع وساوسه.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

ما سواه مع افتقار غيره إليه، ثم ما فيها من نفي الولدية والوالدية عنه جل شأنه ونفي النظير والشبيه لا شك أن هذه السورة علاج عظيم لكل ما يلقيه الشيطان في القلب من فتن ووساوس.»

« وعن أبي زميل، سماك بن الوليد رضي الله عنه قال: سألت ابن

عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟

قال: ما هو؟

قلت: والله لا أتكلم به^(١).

قال فقال لي: أن شيء من شك؟

قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد^(٢)

(١) يعني أنه يستحي أن يتكلم به لما فيه من الشناعة والقبح.

(٢) أي ما سلم منه أحد من الناس لأنه من حديث النفس الذي لا يؤخذ الله به.

قال: حتى أنزل الله عز وجل: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾ .

قال: فقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً، فقل: هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم. « [رواه أبو داود]

جاء في تفسير الآية: « ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ من القصص فرضاً ﴿فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾ النوراة ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدقه قال ﷺ « لا أشك ولا أسأل » ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ﴾ الشاكرين فيه » .

وقالوا: « جاء عن النبي ﷺ تفسير هذه الأسماء في حديث صحيح فلا يصح العدول عنه: قال ﷺ (أنت الأول فليس قبلك شيء،

وإن من شيء إلا يسبح بحمده
وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء،
وأنت الباطن فليس دونك شيء .

ثم أقول: نفهم من هذه الأحاديث أن الشيطان يهاجم
الإنسان، كل إنسان، ويلقى إليه أقاويله: من خلقك؟.. من خلق
كذا؟.. من خلق كذا؟.. من خلق ربك؟!!

وإلا نجاة للإنسان إذا هاجمته تلك الوسوس إيا بذكر الله...
ومن هنا كانت عظمة كلمة « لا إله إلا الله » التي يقولها
المؤمن ويعتقدها...

وليسست عظمتها أنها كلمات تقال... ولكن من كونها قوة
مضادة جبارة تقهر تلك الوسوس الشيطانية كلها...
من كونها موجة نورية... تتشعشع فتبهد ظلمات بعضها
فوق بعض!!!

ولقد جاءت الأحاديث الصحاح تؤكد ذلك المعنى... ومنها:

« عن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: « قالَ اللهُ تعالى: يا ابنَ آدمَ إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك، ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ لو بلغت ذنوبك عنانَ السماءِ ثم استغفرتني غفرتُ لك، يا ابنَ آدمَ لو أتيتني بقرابِ الأرضِ خطايا ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة. »

[رواه الترمذي وقال: حديث حسن.]

(قَرَابِ الْأَرْضِ): ما يقارب ملاءها.

(عنان) العنان: السحاب.

لماذا هذا الفضل العظيم؟!

السر في قوله « ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئاً »... جاءه سبحانه لا يشرك به شيئاً... جاءه وهو يحسن به تعالى الظن... فغفر له الغفور الكريم سبحانه خطاياهما مهما بلغت!!!

لماذا؟!... جاءه بلا إله إلا الله... التي لا يقوم معها شيء!!!

« عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة. »

قيل: وما إخلاصها؟^(١)

قال: أن تحجزه عن محارم الله^(٢). »

« وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال موسى صلى الله عليه وسلم: يا ربِّ علِّمني شيئاً أذكرُك بهِ وأدعوك بهِ؟

قال: قل: لا إله إلا الله.

قال: يا ربِّ كلُّ عبادك يقولُ هذا؟

قال: قل: لا إله إلا الله.

قال: إنما أريدُ شيئاً تحصُّني بهِ؟

(١) يعني: وما علامة الإخلاص فيها؟

(٢) يعني أن تمنعه وتكفه عن ارتكاب المعاصي وغشيان الفجور.

قال: يا موسى لو أن السماوات السَّبْعَ والأرضين السَّبْعَ في كَفَّةٍ، ولا إله إلا الله في كفة^(١) مالت بهنَّ لا إله إلا الله^(٢). «

[رواه النسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم]

« وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلَّى الله عليه وآله قال: « أفضل الذِّكْرِ لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله^(٣) »

« وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: جددوا إيمانكم.

قيل: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا؟

قال: أكثروا من قول: لا إله إلا الله. [رواه أحمد والطبراني]

(١) يعني في كفة ميزان.

(٢) يعني رجحت وثقل.

(٣) قال وكيع: الحمد لله شكر لا إله إلا الله.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

نعم... صدق ﷺ... هذا هو العلاج... هذا هو دواء الداء
الوبيل... داء الوسوس الشيطانية التي تلحّ على الإنسان، وتضيق
لها الصدور، وتنقبض الوجوه...

إذا هاجمتك وسوس الشيطان، تريد أن تزلزلك وتهزك
بزلزل الشك فافزع فوراً إلى ذكر الله تنقشع عنك هذه الظلمات
وأفضل الذكر لا إله إلا الله...

افزع إليها... واهتف بها... يتجدد إيمانك... كما أخبر ﷺ...
وصدق الله العظيم: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا
هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف ٢٠٠، ٢٠١]

تَذَكَّرُوا؟!...

وفي الحديث: «أفضل الذكر لا إله إلا الله» !!!

﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾؟!...

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

فوراً... إذا ذكروا الله... أو قالوا: لا إله إلا الله... إذا هم

مبصرون...

بعد أن كانوا عمياً في وساوسهم لا يبصرون!!!

ماذا . . .

يقولون . . . ؟ !

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

قرأنا في الفصل السابق قوله تعالى: ﴿سُبْحٰنَهُۥ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُوْلُوْنَ

عُلُوًّا كَبِيْرًا﴾

فماذا يقولون؟!

لقد قالوا كثيرا... ومازالوا يقولون... لأن الإنسان هو

الإنسان!!!

فماذا قال الإنسان... ذلك الخصيم المبين؟!

﴿وَيَقُوْلُ الْاِنْسٰنُ اِنِّىْٓ اِذَا مَاتَ لَسَوْفَ اُخْرَجُ حَيًّا﴾؟!

لا يستطيع المسكين أن يتصور أنه بعد موته وفنائه سوف

يُبعث مرة أخرى حياً!!

يقول: كيف هذا... ولماذا... وما الضرورة إلى ذلك؟!

ويتلطف سبحانه بالإنسان غاية التلطف و ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ
بِعِبَادِهِ﴾ ... ويتنزل سبحانه إلى عقله الذي يستبعد أن يبعث حيا
ويقول: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِن قَبْلُ وَلَتَرْيَكُ شَيْئًا﴾ !!؟

أسلوب عجيب، يرفع من خسة الإنسان!!!

أسلوب كله لطف وحنان: أو لا يذكر الإنسان ذلك؟! أم أنه
يتناسى ولا يحب أن يذكر؟!!

أوجدناه ولم يكُ شيئاً يُذكر... ماذا كان الإنسان قبل إيمان
المني إلى البويضة؟!!

لم يكُ شيئاً!!!

ثم ماذا قالوا؟!!

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ نَكَادُ
السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَلْسَعُ الْأَرْضُ وَنَخْرُ الْجِبَالُ هَذَا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا

﴿٩١﴾ وَمَا يُبْغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ

الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿[مریم ٨٨ - ٩٣]

﴿ وَقَالُوا ﴾ من القائل؟... أممٌ عريضة زعمت هذا الزعم...

وفلسفوه وأسدسوا عليه عقائد عريضة!!!

انظر... كيف غضب سبحانه ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴾!!!

شدينا منكرًا عظيمًا!!!

﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾

﴿ أَي تَنْطَبِقُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ: ﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿

قال تعالى: ﴿ وَمَا يُبْغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ أي ما يليق به ذلك.

﴿ إِنْ ﴾ أي: ما ﴿ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾

ذليلا خاضعا يوم القيامة ومنهم عزيز وعيسى.

ثم ماذا قالوا أيضا؟!

﴿... وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا ءَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾

[الإسراء ٩٨]

فكان الرد عليهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾

[الإسراء ٩٩]

وماذا قالوا أيضا؟!

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿١٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن مَّخِيلٍ وَعَيْنٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿١١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيْلًا ﴿١٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُفِيِّكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء ٩٠ - ٩٣]

﴿ قُلْ ﴾ لهم، ﴿ سُبْحَانَ رَبِّي ﴾ تعجب، ﴿ هَلْ ﴾ ما

﴿ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ كسائر الرسل ولم يكونوا يأتون بآية

إلا بإذن الله!

وماذا قالوا أيضا؟!

لقد قالوا كثيرا... وقص علينا القرآن العزيز كثيرا مما قالوا...

وسوف يظل الإنسان يقول ... وسوف يبقى الناس

يقولون... ولكن: ﴿ سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عَلُوا كَبِيرًا ﴾ !!!

وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ...

وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ...؟!!

قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا

لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿﴾ [الصافات ١٦٤ - ١٦٦]

وقالوا في التفسير: « قال جبريل للنبي ﷺ ﴿ وَمَا مِنَّا ﴾ معشر

الملائكة ﴿ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ في السماوات يعبد الله فيه لا يتجاوزه.

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ أقدامنا في الصلاة.

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ المنزهون الله عما لا يليق به.

وجاء في (الدر المنثور في التفسير المأثور) للسيوطي، في

تفسيرها:

« عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ قال:

الملائكة ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ قال: الملائكة ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ قال:

الملائكة. «

« وعن مجاهد رضي الله عنه ، مثله «

« وعن عكرمة رضي الله عنه في الآية قال: ذاك قول جبريل السلامة »

« وعن سعيد بن جبیر رضي الله عنه ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ قال:

الملائكة. ما في السماء موضع إلا عليه ملك، إما ساجد، أو قائم حتى تقوم الساعة. »

« وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما في السماء موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم وذلك

قول الملائكة عليهم السلام ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴾ »

وعن العلاء بن سعد رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً

لجلسائه: « أظت السماء، وحق لها أن تظت ليس منها موضع قدم إلا عليه ملك راکع أو ساجد.

ثم قرأ ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ »

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون. إن السماء أظت، وحق لها أن تنط ما فيها موضع أربع أصابع إلا ومك واضع جبهته ساجداً لله.» .

«وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل تسمعون ما أسمع؟

قلنا: يا رسول الله ما تسمع؟!

قال: أسمع أطيط السماء، وما تلام أن تنط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك راکع أو ساجد.» .

«وعن زيد بن مالك رضي الله عنه قال: كان الناس يصلون متبديين، فأنزل الله ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ فأمرهم أن يصفوا.» .

«وعن الحسن رضي الله عنه قال: كانت أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر. فأناه جبريل عليه السلام فقال ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسْتَحُونَ﴾ فقام جبريل عليه السلام بين يديه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ثم صف

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

الرجال من خلفه، والنساء خلف الرجال، فصلّى بهم الظهر أربعاً حتى إذا كان العصر، قام جبريل عليه السلام ففعل مثلها.

ثم جاءه حين غربت الشمس، فصلّى بهم ثلاثاً، يقرأ في الركعتين الأوليين يجهر فيهما، ولم يسمع في الثالثة.

حتى إذا كان عند العشاء وغاب الشفق، جاء جبريل عليه السلام فصلّى بالناس أربع ركعات يجهر بالقراءة في ركعتين.

حتى إذا أصبح ليلته؛ أتاه فصلّى ركعتين يجهر فيهما ويطول القراءة .

« وعن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام إلى الصلاة قال: « استووا. تقدم يا فلان، تأخر يا فلان، أقيموا صفوفكم، يريد الله بكم هدى الملائكة. ثم ينلو ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾ »

« وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم.

قال: يقيمون الصفوف المقدمة، ويتراصون في الصف .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثَ:

جَعَلْتُمْ صَفُوفَنَا كَصَفُوفِ الْمَلَائِكَةِ.

وَجَعَلْتُمْ لَنَا الْأَرْضَ مَسْجِدًا.

وَجَعَلْتُمْ لَنَا تَرَبُّهَا طَهُورًا إِنْ لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ . »

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اعْتَدِلُوا فِي

صَفُوفِكُمْ، وَتَرَاصُوا فَإِنِّي أُرَاكُمْ مِنْ وِرَائِي.

قال أنس رضي الله عنه: لقد رأيت أحدنا يلزق منكبه ^(١) بمنكب صاحبه،

وقدمه بقدمه »

« وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « سَوُّوا

صَفُوفِكُمْ، وَأَحْسِنُوا رُكُوعَكُمْ وَسُجُودَكُمْ . »

(١) المنكب: مجمع عظم العضد والكتف.

« وعن أبي صالح رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ

تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن نُّجُيِ الْأَيْلِ﴾ إلى قوله ﴿عَلِمَ أَنَّ لَن تُخْصَوهُ﴾ .

قال جبريل عليه السلام: أُنشِقَ ذلك عليكم؟.

قال: نعم.

قال: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ

الْمُسَبِّحُونَ﴾ . «

« وعن قتادة رضي الله عنه في قوله ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ قال: صفوف

في السماء. ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ أي: المصلون هذا قول الملائكة

يثبتون مكانهم من العباد . «

وأخيرا أقول: ليس هناك زيادة لمستزيد... وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي

عِلْمًا... والله أعلم.

وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ...

وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ...؟!

استمع:

﴿ وَيَسْبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنَ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ

فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ [الرعد ١٣]

ومما جاء في تفسير الآية... في « الدر المنثور » للسيوطي:

« عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع صوت

الرعد والصواعق قال: « اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك،

وعافنا قبل ذلك. »

وعن أبي هريرة رضي الله عنه - يرفع الحديث - أنه كان إذا سمع الرعد

قال: « سبحان من يسبح الرعد بحمده » .

« وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا هبت الريح

أو سمع صوت الرعد تغير لونه، حتى عرف ذلك في وجهه، ثم يقول

للرعد: « سبحان من سبحت له » ويقول للريح: « اللهم اجعلها رحمة

ولا تجعلها عذاباً » .

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

« وعن عبيد الله بن أبي جعفر رضي الله عنه أن قوماً سمعوا الرعد فكبروا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا سمعتم الرعد فاسبجوا ولا تكبروا » .

« وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا سمع الرعد قال: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم » .

« وعن علي رضي الله عنه أنه كان إذا سمع صوت الرعد قال: سبحان من سبحت له » .

« وعن عبد الله بن الزبير: أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته، ثم يقول: إن هذا لوعيد لأهل الأرض شديد » .

« وعن أحمد بن داود رضي الله عنه قال: بينما سليمان بن داود عليه السلام يمشي مع أبويه وهو غلام، إذ سمع صوت الرعد، فخرَّ فاصق بفخذ أبيه.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

فقال: يا بني، هذا صوت مقدمات رحمته، فكيف لو سمعت صوت مقدمات غضبه «؟!

« وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً من أصحابه إلى رأس من رؤساء المشركين يدعوهم إلى الله. فقال المشرك: هذا الإله الذي تدعوني إليه، أمن ذهب هو أم من فضة، أم من نحاس؟

فتعاضم مقاتله، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره.

فقال: ارجع إليه.

فرجع إليه، فأعاد عليه القول الأول.

فرجع فأعاده الثالثة.

فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما إذ بعث الله سبحانه حيال رأسه فرعدت وأبرقت ووقع منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه^(١) فأنزل الله تعالى ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ...﴾ .

« وعن قتادة رضي الله عنه ذكر لنا أن رجلاً أنكر القرآن، وكذب النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته.

فأنزل الله تعالى فيه ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ...﴾ .

« وعن السندي قال: الصواعق نار . »

« وعن ابن عباس رضي الله عنه ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ قال: شديد المكر، شديد القوة . »

« وعن ابن عباس رضي الله عنه ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ قال: شديد الحول»

(١) القحف: العظم الذي فوق الدماغ.

«وعن علي رضي الله عنه ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ قال: شديد الأخذ».

«وعن مجاهد رضي الله عنه ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ قال: شديد الانتقام».

«وعن قتادة رضي الله عنه ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ قال: شديد القوة والحيلة».

ومما قال المفسرون في تفسير الآية: ﴿وَيَسْبِحُ الرَّعْدُ﴾ هو

ملك موكل بالسحاب يسوقه متلبسًا.

﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي يقول: سبحان الله وبحمده.

﴿وَ﴾ يسبح

﴿الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي الله

﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وهي نار تخرج من السحاب

﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ فتحرقه.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

نزل في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعو فقال: من رسول الله؟! وما الله؟! أمن ذهب هو، أم من فضة، أم نحاس؟! فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه.

﴿وَهُمْ﴾ أي: الكفار.

﴿يُجَادِلُونَ﴾ يخاصمون النبي ﷺ.

﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ القوة أو الأخذ.

ثم أقول: سواء كان الذي يسبح بحمده سبحانه، هو الرعد نفسه، أو ملك موكل بالسحاب، فليس هذا هو هدف هذا المبحث، إنما الهدف أن نفهم أن الرعد يسبح بحمده، أن الرعد يقول: سبحانه الله وبحمده...

وأن الرعد بذلك يدخل تحت مظلة: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾

﴿وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...!!!﴾

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ...

سُبْحَانَكَ ...

إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ!؟

استمع: ﴿ وَذَا الثُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا فظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾
فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ [الأنبياء ٨٧، ٨٨]

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ
الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ
مَلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ
يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى
حِينٍ ﴿١٤٨﴾ [الصافات ١٣٩ - ١٤٨]

أقول: التجربة التي مر عليها يونس عليه السلام تجربة
خطيرة... يجب على كل عاقل أن يستفيد منها في حياته الدنيا...

قالوا في تفسير الآيات:

﴿و﴾ انكر

﴿ ذَا التُّونِ ﴾ صاحب الحوت، وهو يونس بن متى.

﴿ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِبًا ﴾ لقومه، أي غضبان عليهم مما قاسى منهم، ولم يؤذن له في ذلك.

﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ أن نقضي عليه بما قضيناه من حبسه في بطن الحوت، أو نضيق عليه بذلك.

﴿ فَنادَى فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت.

﴿ أَنْ ﴾ أي: بأن.

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ في ذهابي من بين قومي بلا إذن.

﴿ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ ﴾ بتلك الكلمات.

﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ كما نجيناه.

﴿نُجِيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين.

وجاء في تفسير هاتين الآيتين في (الدر المنثور) للسيوطي:

« عن ابن عباس في قوله ﴿وَذَا الثُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا﴾ يقول: غضب على قومه ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ يقول: أن لن نقضي عليه عقوبة ولا بلاء فيما صنع بقومه في غضبه عليهم وفراره قال: وعقوبته أخذ النون إياه ». .

« وعن الضحاك في قوله ﴿وَذَا الثُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا﴾ قال: مغاضبا لقومه ». .

« وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ قال: ظن أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه ». .

وعن الحسن رضي الله عنه في قوله ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا﴾ قال: انطلق أبقاً ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فكان له سلف من عمل صالح فلم يدعه الله، فبه أدركه ». .

وعن مجاهد رضي الله عنه في قوله ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ قال: ظن أن لن نعاقبه بذلك .

« وعن عطية في قوله ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ قال: أن لن نقضي عليه . »

« وعن الضحاك في قوله ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ يقول: ظن أن الله لن يقضي عليه عقوبة ولا بلاء في غضبه الذي غضب على قومه وفراقه إياهم . »

« وعن عبد الله بن الحارث قال: لما التقم الحوت يونس نبذ به إلى قرار الأرض فسمع تسبيح الأرض، فذاك الذي حازه فناده»

وعن الحسن رضي الله عنه في قوله ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ قال: ظن أن لن نعاقبه ﴿ فَتَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ قال: ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ قالت الملائكة: صوت معروف في أرض غريبة .

« وعن سالم بن أبي الجعد قال: أوحى الله تعالى إلى الحوت
أن « لا تضر له لحماً ولا عظماً »

« ثم ابتلع الحوت حوت آخر قال: ﴿ فَتَادَى فِي الظُّلْمَةِ ﴾ قال:
ظلمة الحوت، ثم حوت، ثم ظلمة البحر .

« وعن ابن عباس رضي الله عنه ، أن معاوية قال له يوماً: إني قد
ضربتني أمواج القرآن البارحة في آيتين لم أعرف تأويلهما ففزعت إليك
قال: وما هما؟

قال: قول الله ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْرِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ
عَلَيْهِ ﴾ وأنه يفوته إن أرادته، وقول الله ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ
وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾

كيف هذا، يظنون أنه قد كذبهم ما وعدهم؟

« فقال ابن عباس: أما يونس، فظن أن لن تبلغ خطيئته أن
يقدر الله عليه فيها العقاب، ولم يشك أن الله إن أرادته قدر عليه. وأما

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

الآية الأخرى، فإن الرسل استيأسوا من إيمان قومهم وذلك لطول
البلاء عليهم، ولم تستيئس الرسل من نصر الله، ولم يظنوا أنه
كذبهم ما وعدهم. فقال معاوية: فرّجت عني يا ابن عباس فرّج الله
عني^(١) [وعن أنس - رفعه -]

أن يونس حين بدا له أن يدعو الله بالكلمات حين ناداه في
بطن الحوت قال: اللهم (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظالمين)

« فأقبلت الدعوة تحفّ بالعرش فقالت الملائكة: هذا صوت
ضعيف معروف من بلاد غريبة!
فقال: أما تعرفون ذلك؟
قالوا: يا رب، ومن هو؟

(١) ومما روى في تفسيرها عن سعيد بن جبیر: « حتى إذا استيأس الرسل من
قومهم أن يستجيبوا لهم وظنّ قومهم أن الرسل كذبهم جاءهم نصرنا »

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

قال: ذاك عبدي يونس

قالوا: عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة

مجابة؟!

قال: نعم

قالوا: يا رب، أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من

البلاء؟

قال: بلى

فأمر الحوت فطرحة بالعراء فأثبت الله عليه اليقطينة^(١)»

« وعن علي رضي الله عنه مرفوعاً: ليس لعبد أن يقول أنا خير من

يونس بن مئى، سبَّح الله في الظلمات »

(١) اليقطين: ما لا ساق له من النبات، كالقرع والبطيخ.

« وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) لم يدع بها مسلم ربّه في شيء قط إلا استجاب له»

« وعن سعد رضي الله عنه سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اسم الله الذي إذا دعي به أعطى، دعوة يونس بن مَثَّى.

قلت: يا رسول الله، هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين؟
قال: هي ليونس خاصة، وللمؤمنين إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله (وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) فهو شرط من الله لمن دعاه» .

« وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هذه الآية مفزع للأنبياء (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) نادى بها يونس في ظلمة بطن الحوت» .

« وعن الحسن رضي الله عنه قال: اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أُجاب وإذا سُئِلَ به أُعطي (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) ». » .

« وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هل أدلكم على اسم الله الأعظم؟ دعاء يونس (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) فأیما مسلم دعا به في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أُعطي أجر شهيد وإن برّاً برّاً مغفوراً له ^(١) . » .

« وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن مئى - نسبه إلى أبيه - أصاب ذنباً ثم اجتباه ربه « . » .

(١) برّاً: أي من المرض.

﴿ فَبَدَّلْنَاهُ ﴾ أي ألقيناه من بطن الحوت ﴿ بِالْعُرَاءِ ﴾ بوجه الأرض، أي بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوماً ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ عليل ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾ وهي القرع، تظلل بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له، وكانت تأتيه وِعَلَةٌ^(١) صباحاً ومساءً يشرب من لبنها حتى قوى ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ ﴾ بعد ذلك - كَقَبْلِهِ - إلى قومِ بني نوى من أرض الموصل ﴿ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ ﴾ بل ﴿ يَزِيدُونَ ﴾ عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفاً.

﴿ فَآمَنُوا ﴾ عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿ فَمَتَّعْنَاهُمْ ﴾ أبقيناهم ممتعين بما لهم ﴿ إِلَى حِينٍ ﴾ تنقضي آجالهم فيه .

وجاء في تفسير هذه الآيات في « الدر المنثور » للسيوطي، روايات بديعة، يفسر بعضها بعضاً، نلتقط منها:

(١) وِعَلَةٌ: مؤنث الوعل: تيس الجبل له قرنان قويان منحنيان.

« وعن ابن عباس قال: لما بعث يونس عليه السلام إلى أهل قريته، فردوا عليه ما جاءهم به، فامتنعوا منه، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه: إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا .. فأخرج من بين أظهرهم. فأعلم قومه الذي وعد الله من عذابه إياهم.

فقالوا: أرمقوه، فإن هو خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم.

فلما كانت الليلة التي وعدوا العذاب في صبيحتها، أدلج^(١) فرآه القوم، فحذروا فخرجوا من القرية إلى براز^(٢) من أرضهم.

وفرقوا بين كل دابة وولدها ثم عجوا إلى الله، وأنابوا واستقالوا، فأقالهم وانتظر يونس عليه السلام الخبر عن القرية وأهلها، حتى مرَّ مارٌّ فقال: ما فعل أهل القرية؟

(١) أدلج: سار من أول الليل.

(٢) براز: البراز : الفضاء الواسع.

قال: فعلوا أن نبيهم لما خرج من بين أظهرهم عرفوا أنه قد صدقهم ما وعدهم من العذاب، فخرجوا من قريتهم إلى براز من الأرض، ثم فرّقوا بين كل ذات ولد وولدها، ثم عَجُّوا إلى الله، وتابوا إليه فقبل منهم، وأخر عنهم العذاب.

« فقال يونس عليه السلام عند ذلك: لا أرجع إليهم كذاباً ابداً،

ومضى على وجهه » .

(فسمع تسييح الأرض)

« وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: لما ألقى يونس عليه السلام نفسه في البحر التقمه الحوت (هوى به حتى انتهى إلى مفجر^(١)) من الأرض - أو كلمة تشببها - فسمع تسييح الأرض ﴿ فَكَادَى فِي الظُّلْمَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فَأَقْبَلَتِ الدَّعْوَةَ تَحُومَ حَوْلِ الْعَرْشِ.

فقال الملائكة: يا ربنا نسمع صوتاً ضعيفاً من بلاد غربة

قال: وتدرؤن ما ذاكم؟

قالوا: لا يا ربنا

قال: ذاك عبدي يونس

(١) وردت هكذا (مفجر) ولعل الصحيح حفرة، ربما كانت مسكناً للحوت كما سيأتي في رواية أخرى.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

قالوا: الذي كنا لا نزال نرفع له عملاً متقبلاً، ودعوة مجابة؟

قال: نعم

قالوا: يا ربنا ألا ترحم ما كان يصنع في الرخاء، وتنجيه عند البلاء

قال: بلى

(فأمر الحوت فحفظه)

(هذا تسبيح دواب الأرض؟!)

« وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله حبس يونس عليه السلام في بطن الحوت، أوحى الله إلى الحوت أن خذهُ، ولا تخذش له لحمًا، ولا تكسر له عظامًا، فأخذه ثم أهوى به إلى مسكنه في البحر

فلما انتهى به إلى أسفل البحر، سمع يونس جسناً^(١) فقال في نفسه: ما هذا...؟!

فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت: إن هذا تسبيح دواب الأرض. فسبح وهو في بطن الحوت

فقالوا^(٢): ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غربة

(١) جَسَنًا: الجِسُّ والخَسْيَسُ: الصوت الخفي، ومنه قوله تعالى ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾

(٢) فقالوا: أي الملائكة.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

قال: ذاك عبدي يونس، عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر

قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم عمل

صالح؟

قال: نعم

فندفعوا له عند ذلك

فأمره، فقفه في الساحل، كما قال الله ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ «

(عندما سمع يونس عليه السلام تسبيح الحصى في قاع البحر؟!)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن يونس عليه السلام كان وعد قومه العذاب، وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام «ففرقوا بين كل والدة ووالدها»^(١)، ثم خرجوا، فجأروا إلى الله، واستغفروه، فكف الله عنهم العذاب.

وغدا يونس عليه السلام ينتظر العذاب، فلم ير شيئاً!

وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل، فانطلق مغاضباً، حتى أتى قوماً في سفينة، فحملوه وعرفوه

فلما دخل السفينة ركبت، والسفن تسير يميناً وشمالاً،

فقال: ما بال سفينتكم؟!

(١) في رواية: « خرج يونس عليه السلام، ففقد قومه، فخرجوا بالصغير والكبير، والدواب، وكل شيء. ثم عزلوا الوالدة عن ولدها، والشاة عن ولدها، والناقة والبقرة عن ولدها، فسمحت لهم عجباً فأناهم العذاب حتى نظروا إليه، ثم صرف عنهم ». «

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

قالوا: ما ندري!

قال: ولكني أدري أن فيها عبداً أبق^(١) من ربه، وأنها والله لا
تسير حتى تلقوه.

قالوا: أما أنت والله يا نبي الله فلا نلقيك

فقال لهم يونس عليه السلام: اقترعوا، فمن قرع، فليقع فاقترعوا
فقرعهم يونس عليه السلام ثلاثة مرات فوقع، وقد وكل به الحوت.

فلما وقع ابتلعه

فأهوى به إلى قرار الأرض

فسمع يونس عليه السلام تسبيح الحصى ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا

إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

قال: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل

(١) أبق: هرب.

قال: ﴿فَبَدَّنَتْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ قال: كهيئة الفرخ الممعوط^(١) الذي ليس عليه ريش، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، فكان يستظل بها ويصيب منها، فبيست فبكي عليها حين بيست « فأوحى الله إليه: أتبكي على شجرة أن بيست، ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم؟!... » إلى آخره

« وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ﴿مُسِيءٌ﴾ »

« وعن مجاهد رضي الله عنه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ قال: مُذنبٌ »

« وعن مجاهد رضي الله عنه ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ قال: العابدين

الله قبل ذلك »

وعن الضحَّاك رضي الله عنه قال: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، فإنَّ يونس عليه السلام كان عبداً صالحاً ذاكراً لله، فلما وقع في

(١) الفرخ الممعوط: هو الذي لا شعر في جسده. وَاْمُنْعَطُ شَعْرُهُ: تساقط من داءٍ ونحوه.

بطن الحوت قال الله ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

« إن فرعون كان عبداً طاغياً، ناسياً لذكر الله، فلما أدركه الغرق قال: ﴿ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ فقيل له: ﴿ ءَأَلْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ »

« وعن الحسن رضي الله عنه في قوله ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ قال: كان يُكثر الصلاة في الرخاء، فلما حصل في بطن الحوت، ظنَّ أنه الموت، فحرَّك رجليه، فإذا هي تتحرَّك فسجدَ وقال: يا رب اتخذتُ لك مسجداً في موضع لم يسجد فيه أحد »

« وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مكث يونس عليه السلام في بطن الحوت أربعين يوماً »

« وفي رواية عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: فطاف به البحار

كلها، ثم نبذه على نشاطٍ دجلة »

« وعن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ ﴾ قال: ألقيناه بالساحل»

« وعن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ وَأَبْتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةٌ مِّنْ يَّقِطِينَ ﴾ قال: القرع»

« وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: كل شجرة لا ساق لها

فهي من اليقطين، والذي يكون على وجه الأرض من البطيخ

والقنء^(١) »

« وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: أنه سئل عن اليقطين أهو

القرع؟ قال: لا ولكنها شجرة سماها الله اليقطين، أظلمته »

« وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ أَوْزِيدُونَ ﴾ قال:

(١) والمراد التي تتمدد على الأرض، كالبطيخ والشمام والخيار والقرع.

يزيدون ثلاثين ألفاً»

« وعن سعيد بن جبير في قوله ﴿مِائَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ بل

قال: يزيدون بسبعين ألفاً»

« وعن الحسن وقتادة في قوله ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾ قال: بعثه الله

تعالى قبل أن يصيبه ما أصابه، أُرْسِلَ إلى أهل نينوي من أرض

الموصل»

« وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إنما كانت رسالة يونس عليه السلام

بعدهما نبذه الحوت، ثم تلا ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ إلى قوله ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ

مِائَةِ أَلْفٍ﴾»

ثم أقول: رائعة وجميلة وينتشد شع نوراً وأنساً للفؤاد !!!

هذه القصة الخالدة .. قصة يونس عليه السلام !! التقمه الحوت

وأهوى به إلى قاع البحر .. فسمع يونس عليه السلام تسبيح عجائب

وإن من شيء إلا يسبح بحمده
مخلوقات البحار .. من حيتان وأسماك وزواحف وما لا يعلمه إلا
الله!!

سمع عجائب البحار تُسَبِّحُ الله تعالى ...

وكشف الله له ذلك كله وهو في بطن الحوت !!

فسمع ما لا يحصى من كائنات البحار تُسَبِّحُ،

وتزفرفف بتسبيح ربها...

إنَّ يُونُسَ الْآنَ .. القائم في بطن الحوت .. وقد أهوى به

الحوت .. إلى قرار البحر ..

يسمع سيمفونية مقدّسة تعزفها ملايين الملايين من كائنات

البحار ..

إنه في ظلمات رهيبية .. ظلمة بطن الحوت .. وظلمة قاع البحر..

وظلمة الليل .. ولكنه يسمع تسبيحاً عجباً !!

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

الأرض .. قاع البحر يُسَبِّحُ .. ويونس يفقه ما يسبِّحون ..
الحوتُ الذي هو سجينٌ فيه يُسَبِّحُ ..

الحيتان كلها .. الأسماك .. الزواحف .. السلاحف .. أنواع
الكائنات البحرية .. لكها تُسَبِّحُ في لحنٍ قدسي متناغم متناسق
الأمواج !!

ومن عجائب تلك القصة الجميلة .. أن الحوت الذي التقم يونس
طاف به بحار الدنيا كلها .. جميع المحيطات وجميع البحار !!

ويونس في بطن الحوت يسمع تسبيح كائنات المحيطات
والبحار .. وتسبيح أرض تلك البحار .. وما فيها من وديان وجبال
وكهوف وغابات !!

ما هذا ؟!

هذه قدرة الله سبحانه !! أوحى إلى الحوت فالتقمه، وأوحى
إلى الحوت ألا يمسن له عظماً أو لحماً !!

ثم طاف به الحوت بحار الدنيا كلها !!

ليسمع يونس ما لا أذنُ سَمِعَتْ .. يسمع بحار الكرة الأرضية

كلها تعجّ وتضحّ كأنات كلها بالتسبيح !!

ومكث يونس أربعين يوماً، يشهد ألوانا من عجائب قدرة الله

في البحار !!

إن الحادث كان معجزة كبرى من بدايته إلى نهايته !!

بل معجزات متتابعات .. حين شاهدها يونس عليه السلام .. وحين

سمع تسبيح كل شيء من حوله .. ﴿ فَكَادَى فِي الظُّلْمَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا

أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

» فأقبلت الدعوة تحوم حول العرش .. !! ثم ماذا؟! .. ثم

كان العجب !!

﴿ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾ .. !!

فَاسْتَجِبْنَا؟! .. نحن الله !! الفاء للفورية .. فوراً اسْتَجِبْنَا !!

استكثروا ..

من الباقيات ..

الصالحات ..

استمع إلى قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]

وقالوا في تفسيرها: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتجمل

بهما فيها، ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ هي سبحان الله والحمد لله ولا إله

إلا الله والله أكبر، زاد بعضهم ولا حول ولا قوة إلا بالله. ﴿خَيْرٌ عِنْدَ

رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى.

« وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

اسْتَكْرَأُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ^(١)

قيل: وما هن يا رسول الله؟

(١) أي أكثروا من ذكر الله بها ولازموها، ومعنى الباقيات الصالحات أنها تبقى مدخرة لصاحبها عند الله حتى توزن في حسناته.

قال: التكبير والتهليل، والتسبيح، والحمد لله، ولا حول ولا

قوة إلا بالله^(١)»

« وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خُذُوا جُنَّتَكُمْ

قالوا: يا رسول الله، عُدُّوْ حَضْرَ؟^(٢)

قال: لا، وَلَكِنْ جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ^(٣)

قولوا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ

فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجَنَّبَاتٍ وَمُعَقَّبَاتٍ^(٤) وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ

الصَّالِحَاتُ»

(١) المعنى: لا حركة ولا قوة إلا بمشيئته تعالى.

(٢) كأنهم فهموا من الأمر باتخاذ الجنة الاستعداد للحرب، فسألوا: هل داهمنا عدو فنستعد له؟.

(٣) يعني أنها تحجزكم من النار وتحول بينكم وبين دخولها.

(٤) أي يحطن بقائلهن ويمشين من بين يديه ومن خلفه يدفعن عنه ويشفعن له.

(جُنَّتْكُمْ) أَي: مَا يَسْتَرْكُمْ وَيَقِيكُمْ

(وَمُجْتَبَاتٍ) أَي: مَقْدِمَاتٍ أَمَامَكُمْ، وَفِي رَوَايَةِ الْحَاكِمِ: مَنْجِيَاتٍ

« وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ وَهُنَّ يَخْطُطْنَ الْخَطَايَا^(١)، كَمَا تَخْطُ السَّنَجَرَةُ وَرَقَهَا^(٢)، وَهِيَ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ »

« وَعَنْ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ: التَّسْبِيحُ، وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّحْمِيدُ، يَنْعَطِفْنَ^(٣)

(١) أَي يَزَلْنَهَا وَيَلْقِيْنَهَا عَنِ الْعَبْدِ.

(٢) وَذَلِكَ فِي الْخَرِيفِ يَتَجَرَّدُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَشْجَارِ عَنِ وِرْقِهِ فَيَتَسَاقَطُ نَشِيدًا بَعْدَ شَيْءٍ حَتَّى تَبْقَى الْأَعْصَانُ عَارِيَةً لَا وَرَقَ عَلَيْهَا.

(٣) يَنْعَطِفْنَ: أَي يَمْلَأْنَ وَيَدْرِنَ.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

حَوْلَ الْعَرْشِ لَهْنٌ دَوِيٌّ^(١) كَدَوِيٍّ النَّحْلِ تُذَكَّرُ بِصَاحِبِهَا^(٢) أَمَا يُحِبُّ
أُحَدِّكُمُ أَنْ يَكُونَ لَهُ، أَوْ لَا يَرَأَلُ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ رَبَّهُ «

» وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا حدثتكم بحديث

أتيناكم بتصديق ذلك في كتاب الله^(٣)،

إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَنَبَّارَكَ اللَّهُ قَبِضَ عَلَيْهِنَ مَلَكٌ^(٤) فَضَمَّهِنَّ تَحْتَ جَنَاحِهِ
وَصَعَدَ بِهِنَّ^(٥) لَا يَمُرُّ بِهِنَّ عَلَى جَمْعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا اسْتَغْفَرُوا

(١) لهم دوي: أي صوت قوي.

(٢) تذكر بصاحبها: أي بفائلها الذاكر بها.

(٣) لأنه ﷻ كان من اعلم الصحابة بتفسير القرآن وتأويله، وقد قال عن نفسه: والله الذي لا إله إلا هو لم أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه.

(٤) وفي رواية: أخذهن ملك.

(٥) وفي رواية: ثم صعد بهن إلى السماء.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

لِقَائِلِهِنَّ حَتَّى يُحْيَا بِهِنَّ وَجْهَ الرَّحْمَنِ ثُمَّ تَلَا عَبْدُ اللَّهِ: إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ
الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ^(١) .

« وعن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخَذَ عُصًا فَنَفَضَهُ فَلَمْ
يَنْتَفِضْ، ثُمَّ نَفَضَهُ فَانْتَفَضَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، تَنْفُضُ الْخَطَايَا كَمَا تَنْفُضُ
الشَّجَرَةَ وَرَقَّتْهَا^(٢) »

(١) قالوا: الضمير المستكن في قوله (يرفعه) يعود إلى العمل الصالح، أي: أن العمل
الصالح يرفع الكلم الطيب.

« قال ابن عباس رضي الله عنهما: الكلم الطيب ذكر الله تعالى، يصعد به إلى الله عز وجل والعمل
الصالح، أداء الفريضة، فمن ذكر الله تعالى في أداء فرائضه حمل عمله ذكر الله
تعالى يصعد به إلى الله عز وجل ومن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله
فكان أولى به. » وقال إياس بن معاوية: لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام. وكذا
قال الحسن وقتادة: لا يقبل قولاً إلا بعمل .

(٢) أي تسقطها وتذهبها عن صاحبها .

« وعن عمران، يعني ابن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله

ﷺ: مَا ^(١) يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْمَلَ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ أَحَدٍ عَمَلًا؟

قالوا: يا رسول الله وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ كُلَّ يَوْمٍ عَمَلًا

مِثْلَ أَحَدٍ؟

قال: كَلُّكُمْ يَسْتَطِيعُهُ

قالوا: يا رسول الله مَاذَا؟ ^(٢)

قال: سُبْحَانَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ أَحَدٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ

أَحَدٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَعْظَمُ مِنْ أَحَدٍ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَعْظَمُ مِنْ أَحَدٍ.»

(١) ما يستطيع: يعني أما يستطيع، فحذفت همزة الاستفهام.

(٢) ماذا؟: يعني ما هو هذا العمل الذي يوزن بأحد ويكون أعظم منه؟

وجاء في تفسير (الدر المنثور في التفسير المأثور) في قوله

تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ

ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ .

« عن سفيان الثوري قال: كان يقال إنما سُمِّي المال، لأنه

يميل بالناس، وإنما سُمِّيت الدنيا لأنها دَنَّتْ . » .

« وعن عياض بن عقبة أنه مات له ابن يقال له يحيى، فلما

نزل في قبره قال له رجل: والله إن كان لسيد الجيش فاحتسبه

فقال: وما يمنعني ان أحتسبه؟ وكان أمس من زينة الدنيا،

وهو اليوم من الباقيات الصالحات . » .

« وعن علي بن أبي طالب قال: (المالُ والبُنون) حرث الدنيا،

والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله لأقوام . » .

« وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ﴾ قال:

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.»

« وعن النعمان بن بشير: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألا وإن

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر من الباقيات

الصالحات.»

« وعن أنس بن مالك قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشجرة

يابسة، فتناول عوداً من أعوادها فتناثر كل ورق عليها فقال: والذي

نفسى بيده، إن قائلًا يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله

والله أكبر لتتناثر الذنوب عن قائلها كما يتناثر الورق عن هذه

الشجرة قال الله في كتابه هن (الْبَاقِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ) .»

« وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذوا جنتكم من النار

قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا

قوة إلا بالله فإنهن المقدمات، وإنهن المؤخرات

وهن المنجيات

وهن الباقيات الصالحات .

« وعن علي: أن رسول الله ﷺ قال: الباقيات الصالحات من قال: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله .»

« وعن سعد بن جنادة قال: أتيت النبي ﷺ فأسلمت وعلمني ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ و ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وعلمني هؤلاء الكلمات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال هن الباقيات الصالحات .»

« وعن عثمان بن عفان أنه سئل عن (الباقيات الصالحات) قال: هي لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .»

« وعن ابن عمر أنه سُئِلَ عن (البَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ) قال: لا إله

إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ».

« وعن ابن عباس قال ﴿وَالْبَقِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ قال: هي ذكر

الله، لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا

حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله، وصلى الله على محمد رسول

الله، والصلاة والصيام والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة، وجميع

أعمال الحسنات وهن البَاقِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ التي تبقى لأهلها في

الجَنَّةِ».

« وعن سعيد بن المسيب قال: كنا عند سعد بن أبي

وقاص، فسكت سكتة فقال: لقد قلت في سكتتي هذه خيراً مما

سقى النيل والفرات

قلنا له: وما قلت؟

قال: قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

«وعن ابن عباس (والباقيات الصالحات) قال الكلام الطيب».

« وعن ابن عباس أنه قال: في قوله ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ﴾

﴿وَالْحَسَنَةُ يَذُوبُ السَّيِّئَاتِ﴾ الصلوات الخمس ».

« وعن قتادة في قوله ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ﴾ قال: كل

شيء من طاعة الله فهو من الباقيات الصالحات ».

« وعن قتادة أنه سئل عن (الباقيات الصالحات) فقال: كل

ما أريد به وجه الله ».

« وعن سعيد بن جبير في قوله: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ قال:

خيرُ جزاءٍ من جزاء المشركين ».

« وعن قتادة في قوله ﴿وَأَمَّا مَلَأَ﴾ قال: إن لكل عامل

أملاً يؤمله، وإن المؤمن خير الناس أملاً ».

ثم أقول:

تواترت الأحاديث، والآثار، على أن الباقيات الصالحات هي:
سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ...

وأمرنا رسول الله ﷺ: « استكثروا من الباقيات الصالحات

قيل: وما هن يا رسول الله؟

قال: التكبيرُ، والتَهْلِيلُ، والتَسْبِيحُ، والْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

ثم ماذا؟!

ثم إن سُبْحَانَ اللَّهِ إحدى هؤلاء الخمس «.

فما أعظمها من باقية صالحة !!!

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

« عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ

الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ؟

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ

فَقَالَ: إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ.»

« وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: وَمَنْ قَالَ

سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ عُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَتْ

مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ^(١).»

(١) هو ما يعلوه عند هياح أمواجه من الرغوة.

أَتَجْعَلُ فِيهَا . . .

مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا . .

وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ؟ !

استمع إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]

ثم استمع إلى قوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا أَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٣]

وقالوا في تفسيرها: (وَ) اذكر يا محمد ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها، وهو آدم ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يريقها بالقتل ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي

نقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننزهك عما لا يليق بك..
فاللام زائدة، والجملة حال، أي: فنحن أحق بالاستخلاف.

﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصلحة في
استخلاف آدم، وأن ذريته فيهم المطيع والعاصي، فيظهر العدل
بينهم. فقالوا: لن يخلق الله خلقا أكرم عليه منا، ولا أعلم لسبقنا له
ورؤيتنا ما لم يره. فخلق الله آدم من أديم الأرض أي وجهها، بأن
قبض منها قبضة من جميع ألوانها، وعُجنت بالمياه المختلفة،
وسدّوا، ونفخ فيه الروح، فصار حيوانا حسّاسا بعد أن كان جماداً.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ أي أسماء المسّميات ﴿كُلَّهَا﴾ بأن
ألقي في قلبه علمها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي المسّميات، وفيه تغليب العقلاء
﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ﴾ لهم تبكيئا ﴿أَنبِئُونِي﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ﴾
هؤلاء المسّميات ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أني لا أخلق أعلم
منكم، أو: أنكم أحق بالخلافة ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عن

الاعتراض عليك ﴿لَا عَلِمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إياه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾ تأكيد للكاف ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته.

﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَتَّادُمُ أَنْبِيئُهُمْ﴾ أي الملائكة ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ المسَّمَّيات، فسَمَّى كل شيء باسمه، وذكر حكمته التي خُلق لها ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ﴾ تعالى لهم مَوْبِّخًا ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما غاب فيهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ ما تظهرون من قولكم أتجعل فيها ... إلخ

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ تسرّون من قولكم لن يخلق أكرم عليه

منا ولا أعلم؟

وجاء في (الدرّ المنثور في التفسير المأثور) في تفسيرها:

« عن أبي مالك قال: ما كان في القرآن (إِذْ) فقد كان.»

« وعن الحسن في قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ قال: فاعل.»

« وعن ابن عباس قال: إن الله أخرج آدم من الجنة قبل أن يخلقه ثم قرأ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ». »

« وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ قال: إن الله قال للملائكة: إني خالق بشرًا، وإنهم متحاسدون فيقتل بعضهم بعضًا ويفسدون في الأرض، فلذلك قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ ». »

« وعن ابن عباس قال: إياكم والرأي، فإن الله تعالى ردَّ الرأي على الملائكة، وذلك أن الله تعالى قال ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قالت الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا... قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ». »

« وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: إن أول من لبي الملائكة قال الله ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ قَالَتْ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ قَالَ: (فزادوه)^(١)،
فأعرض عنهم فطافوا بالعرش ست سنين يقولون: لبيك لبيك،
اعتذاراً إليك، لبيك لبيك نستغفرك ونتوب إليك».

« وعن قتادة في قوله ﴿وَنَحْنُ سُبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ﴾

قال: (التسبيح) التسبيح و(التقديس) الصلاة».

« عَنْ أَبِي ذَرٍّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ مَا

اصطفاه الله لهلائكته سبحان ربي وبحمده - وفي لفظ - سبحان
الله وبحمده».

« وعن سعيد بن جبیر: أن عمر بن الخطاب سأل النبي ﷺ

عن صلاة الملائكة فلم يرد عليه شيئاً فأتاه جبريل فقال: إن أهل
السماء الدنيا سجدوا إلى يوم القيامة، يقولون: سبحان ذي الملك
والملكوت وأهل السماء الثانية ركوع إلى يوم القيامة، يقولون:

(١) وردت في الدر المنثور (فزادوه) هكذا.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

سبحان ذي العزة والجبروت وأهل السماء الثالثة قيام إلى يوم
القيامة، يقولون: سبحان الحي الذي لا يموت^(١)».

« وعن ابن عباس قال: (التقديس) التطهير ».

« وعن أبي صالح في قوله: ﴿وَنَحْنُ سُبِّحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ
لَكَ﴾ قال: نعظّمك ونمجدك ».

« وعن قتادة في قوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال: كان
في علم الله أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء، ورسول، وقوم
صالحون، وساكنو الجنة ».

(١) فكيف يصلي أهل السماء الرابعة، ثم كيف يصلي أهل السماء الخامسة، ثم أهل
السماء السادسة، ثم أهل السماء السابعة؟!
سبحانك سبحانك، ما أعظم شأنك.

« وعن الحسن قال: خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة: ربنا إن الأرض لم تسعهم، قال: إني جاعل موتاً، قالوا: إذا لا يهناً لهم العيش، قال: إني جاعل أملاً ».

« وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن، والخبيث، والطيب ».

« وعن أنس: أن النبي ﷺ قال: لما صور الله تعالى آدم في الجنة تركه ما شاء أن يتركه فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتمالك ».

« وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة فاسمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك

فذهب فقال: السلام عليكم

فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً، فلم تزل الخلق تنقص حتى الآن».

« وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أهبط منها، وفيه مات، وفيه تيب عليه، وفيه تقوم الساعة».

« وعن ابن جريج قال: خلق الله آدم في سماء الدنيا، وإنما أسجد له ملائكة سماء الدنيا ولم يسجد له ملائكة السماوات».

وجاء في (الدر المنثور) في تفسير الآيات من قوله ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ إلى قوله ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾:

« عن سعيد بن جبیر في قوله: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾

قال: علّمه اسم كل شيء، حتى البعير، والبقرة، والنباة.»

« وعن ابن عباس في قوله: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾

قال: ما خلق الله.»

« وعن عطية بن يسر— مرفوعاً، في قوله: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ

الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ قال: علّم الله في تلك الأسماء ألف حرفة من الحرف

وقال له: قل لولدك وذريتك يا آدم إن لم تصبروا عن الدنيا فاطلبوا

الدنيا بهذه الحرف، ولا تطلبوها بالدين فإن الدين لي وحدي خالصاً.

ويل لمن طلب الدنيا بالدين ويل له.»

« وعن قتادة ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ قال: علّم آدم من

الأسماء أسماء خلقه، ثم قال ما لم تعلم الملائكة، فسوّى كل

شيء باسمه، وألجأ كل شيء إلى جنسه.»

« وعن ابن عباس في قوله: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ قال: عَلَّمَ اللهُ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وأرض وبحر، وسهل، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ يعني عرض أسماء جميع الأنبياء التي علمها آدم من أصناف الخلق ﴿ فَقَالَ أَنْبِئُونِي ﴾ يقول: أخبروني ﴿ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إن كنتم تعلمون أني لم أجعل في الأرض خليفة ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴾ تنزيهاً لله من أن يكون يعلم الغيب أحد غيره، تُبْنَا إِلَيْكَ ﴿ لَا عَلَمَ لَنَا ﴾ تبرياً منهم من علم الغيب ﴿ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ كما علمت آدم .»

« وعن قتادة والحسن قالا: لما أخذ الله في خلق آدم همست الملائكة فيما بينها فقالوا: لن يخلق الله خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه .

فلما خلقه أمرهم أن يسجدوا له لما قالوا .. ففضله عليهم، فعلموا أنهم ليسوا بخير منه فقالوا: إن لم تكن خيراً منه فنحن

أعلم منه لأننا كنا قبله ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ فعلم اسم كل شيء جعل يسمي كل شيء باسمه، وعرضوا عليه أُمَّة

﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ففزعوا إلى التوبة فقالوا ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا

﴾ وعن مجاهد في قوله ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُؤُونَ ﴾ قال: ما أسر إبليس من الكفر في السجود .»

﴾ وعن قتادة والحسن في قوله ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ يعني قولهم ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُؤُونَ ﴾ يعني قول بعضهم لبعض: نحن خير منه وأعلم .»

﴾ وعن مهدي بن ميمون قال: سمعت الحسن، وسأله الحسن بن دينار فقال: يا أبا سعيد أرايت قول الله للملائكة ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْنُؤُونَ ﴾ ما الذي كنتم للملائكة؟ قال: إنَّ

وإن من شيء إلا يسبح بحمده
الله لما خَلَقَ آدمَ رأت الملائكة خَلْقًا عَجَبًا فكأنهم دخلهم من ذلك
شيء

قال: ثُمَّ أَقْبَلَ بعضهم على بعض فَأَسْرَرُوا ذلك بينهم، فقال
بعضهم لبعض: ما الذي يهمكم من هذا الخلق؟ إنَّ الله لا يَخْلُقُ
خَلْقًا إلا كُنَّا أَكْرَمَ عليه منه فذلك الذي كَفَّمَتْ «.

ثُمَّ أَقُولُ: هذا شيءٌ عن النبأ العظيم ... نبأ خلق آدم عليه
السلام ... وماذا قالت الملائكة إذ نَبَّاهم اللهُ نَبَأَ خَلْقِهِ؟!

وكيف تَبَيَّنَ لهم بعد ذلك عظمة الحِكْمَةِ التي أَرادها اللهُ مِنْ
خَلْقِ آدم !!

ففرعوا وسارِعوا إلى التوبة والاعتذار، قالوا: سبحانك لا
علم لنا إلا ما علمتنا !!!

وفي الحديث:

« فطافوا بالعرش ست سنين يقولون: لبيك لبيك، اعتذاراً

إليك، لبيك لبيك نستغفرك ونتوب إليك »!!

ثم ماذا؟!!

ثم كيفية صلاة الملائكة، كيف يصلي هؤلاء الكرام البررة؟!!

جاء في الحديث:

« إن أهل السماء الدنيا سُجُودٌ إلى يوم القيامة، يقولون:

سُبْحَانَ ذِي الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ، وَأَهْلَ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ رُكُوعٌ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ، يَقُولُونَ: سُبْحَانَ ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَبْرُوتِ، وَأَهْلَ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ

قِيَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَقُولُونَ: سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ » !!

والله أعلم

فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا . .

فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ . .

يُسَبِّحُونَ لَهُ . .

بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . . ؟ !

استمع وأنصت إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]

ثم استمع وأنصت إلى قوله ﷻ: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَنْ عِنْدَهُ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠]

ثم استمع: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا

تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ، بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٧ - ٣٨]

بالتأمل والتفكر في الآيات نلحظ شيئاً عجيباً !!!

يقول مرة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ ويقول مرة أخرى ﴿وَمَنْ
عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ ويقول ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ثلاث مرات ينفي عن الملائكة صفة الكبر.

لنفهم أن الكبر هو المانع الأعظم للإنسان عن عبادة ربه
ولكن لماذا لم يتصف الملائكة بالكبر بينما يقع الكبر من الإنسان؟
لأن الملائكة نور خالص ليس في تركيبهم قوة مضادة تدفعهم إلى
الكبر..

أما الإنسان فهناك قوة مضادة في تركيبه تصدّه عن التوجه
إلى ربه، وهذه القوة هي الشيطان، ومن هنا يقع منه الكبر،
فيعرض عن ربه ..

أما إذا ذكر الإنسان ربه انحنس ذلك الشيطان عنه فاستطاع
بعد ذلك التوجه إلى ربه ..

أما الملائكة فإنهم لا يستكبرون، لأن الشيطان لا سلطان له عليهم .. وإنما هم ﴿يَسْبُحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ .. و﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾
﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي: لا يعيُونَ

انظر: لا يَسْتَحْسِرُونَ .. لا يَفْتُرُونَ .. لا يَسْنَأُمُونَ؟!

أي لا تعب ولا إعياء ولا فنور ولا سامة من التسبيح !!

وذلك أن الملائكة مبرءون من الكبر الذي هو مصدر الظلمات .. أما الشيطان فهو متكبر ويدعو الانسان ليتكبر، فيهلك ويهلك الانسان الذي يستجيب له !!

الأكبر ..

أعظم الجرائم ..؟!!

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

تابعت ما ورد في القرآن العظيم عن الكبر والاسـتـكـبار
والمستكبرين ...

فتبين لي أن الكبر هو أعظم جريمة تصدر عن كائن من
الكائنات.. فما لعن إبليس وطرد من الرحمة إلا بسبب كبره ..

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾

﴿ ١٢ ﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿

[الأعراف: ١٢ - ١٣]

المذكور .. عليه اللعنة امتنع عن السجود .. لماذا؟ .. أنا خيرٌ
منهُ !! يرى نفسه خيراً من آدم !!

إنه الكبر هو المانع الأعظم عن طاعة الله..

فكان الجزاء من جنس العمل .. ﴿ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ الأذلاء!!

أراد أن يعلو فعوقب بالإهباط والإذلال!! ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ

أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ
لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعٰلِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ
مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الْآلِئِنِ ﴿٧٨﴾

[ص: ٧٣ - ٧٨]

هذا عن إبليس الذي استكبر ليعلو فكان عقابه أليماً ذميماً!!

أما عن نوع الإنسان فإن آثار قانون الكبر أو ناموس
الاستكبار تسري في الآدميين جميعاً..

والكبر هو العنصر الذي يركز عليه الشيطان ليدفع الإنسان
إلى الكفر والإصرار على الكفر، أو إلى الضلال والإصرار على الضلال..
والقرآن العظيم يُسَدِّجُ في ذلك عجائب لو تأملها أي عاقل
لتنبّه فوراً إلى حقيقة عجيبة!!

أنه ما من إنسان، وما من أمة، رفضت الإيمان بالله ورسوله

وكتبه إلا بسبب الكبر!!

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

وإن نشئت دلائل على تلك النظرية فإن القرآن ناطق بها في كثير من المواضع إليك بعضاً منها:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ۚ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾

[المدثر: ٢٣ - ٢٤]

لماذا أدبر هذا العتل؟! لأنه (استكبر) !!

وقال سبحانه: ﴿فَكَذَّبَتْ بِهَا وَاسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتَ مِنَ

الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٩]

لماذا كذب الكافر بآيات الله؟

﴿وَاسْتَكْبَرَتْ﴾ لأنه تكبر، فرفضها أنه أن يكون عبداً !! بل

هناك نصٌ مقدسٌ يؤكد النظرية .. نظرية ما من إنسان أو أمة كفرت ربها إلا وكان الكبر سبب كفرها ..

قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ

فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]

لماذا ترفض الأمم رسالة رسالها؟!..

﴿ أَسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ بسبب الكبر .. الذي يدفعهم ليس فقط للكفر

لقتل الرُّسُل، لارتكاب أعظم الجرائم، جريمة قتل الأنبياء !!

ثم لماذا تتحوّل أمة من الأمم بأكملها إلى أمة من

المجرمين؟!!

ذلك مكنون في قوله سبحانه: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي

تُنزَلُ عَلَيْكَ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الجاثية: ٣١]

هكذا تحولت أمة بجميع أفرادها إلى أمة مجرمة .. لماذا؟! ..

﴿ فَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ !!

فماذا كانت حصيلة هذا الاستكبار؟! .. ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ !!

الله أكبر .. إنه إعجاز !! ثم انظر كيف أن الكبر يستوجب
أشد العذاب .. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا
فَيُعَذِّبُهُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾

[النساء: ١٧٣]

لماذا استنكفوا .. لماذا أنفوا أن يؤمنوا؟ ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ ..
فماذا كان جزاء كبرهم؟! ﴿فَيُعَذِّبُهُمُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ !!

بل إن الكبر يغلِق أوتاماتيك عن الإنسان أبواب السماء ..
لأن الكبر، يدفعه إلى رفض الحق .. إلى الكفر بالله .. وهذا بدوره
يغلِق في وجهه أبواب السماء .. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتِحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٤٠]

لماذا كذبوا بآياته؟ ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ بسبب الكبر .. فاستوجب
ذلك وحتم غلق أبواب السماء في وجوههم فلا يرفع لهم عمل، ولا يسمع
لهم دعاء: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ !!

وفي آية أخرى ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]

ها هنا دفع الاستكبار فرعون وقومه أن يرفضوا الإيمان .. ودفعتهم

الاستكبار إلى الولوج في الاجرام !!

كما جاء في موضع آخر: ﴿ وَقُلُّوْا وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ

مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴾ [العنكبوت ٣٩]

ثلاثتهم مجرمون... قارون الملياردير... وفرعون المجرم

الأكبر... وهامان الرهيب... كلهم مجرمون بسبب الاستكبار!!!

ومع اختلاف كل منهم عن الآخر في وضعه العام... إلا أنهم

يجتمعون في صفة واحدة دفعتهم إلى الكفر والنكذب... هذه الصفة

هي: ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾!!!

ثم ها هم أولاء قوم نوح... كانوا على الغاية من الكفر والعناد

والمضادة للحق... قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا

أَصْبَعَهُمْ فِيْٓ عَادَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾

[نوح ٧]

فلماذا كانوا كذلك... يبغضون أشدَّ البغض نوحاً وما يدعوهم

إليه؟!

الجواب: ﴿ وَأَسْتَكْبِرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾!!!

سبب الكفر والعناد لا يتغير... إنه الكبر!!!

إنه رفض الحق... واحتقار الذي يزعم أنه رسول!!!

كما قال قائلهم: ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾!؟

والعكس صحيح... فكما أن الكفار المجرمين تنتظمهم صفة

أصيلة في تركيبهم... صفة الاستكبار...

فإن المؤمنين تنتظمهم صفة أصيلة في تركيبهم... أنهم لا

يستكبرون... قال تعالى: ﴿ ... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ

قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّ ذَلِكَ بِأَنْ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾

[المائدة ٨٢]

صفة أصيلة في تركيبهم... لا يستكبرون عن قبول الحق إذا
سَمِعُوهُ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ...﴾ [المائدة ٨٣]

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَرُّوا سُجَّدًا
وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة ١٥]

هكذا... صفة عامة أصيلة في المؤمنين ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾!!!

وكما أن مصير المؤمنين الذين لا يستكبرون نعم المصير...
جنات ونعيم.

فإن مصير الكافرين الذين يستكبرون بنس المئوى وبنس
المصير... قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾

[الزمر: ٦٠]

وقال: ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى
الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٦]

لماذا مصير المتكبرين أسوأ مصير؟!

لأن هؤلاء الأراذل قلبوا الحقائق... وعكسوا الأمور...

خلقهم الله ليكونوا عباداً له... فقالوا: لا... لسنا عبيداً... وإنما

نحن كما نشاء... ونفعل ما نشاء...

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ

إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات ٣٤ - ٣٥]

ولو أننا ذهبنا نستقصي الآيات الدالة على أن الكبر هو مصدر

الآفات المهلكات للإنسان لطال بنا الاستقصاء... وفيما ذكرناه ما

يكفي دليلاً...

ولكن ما هو تعريف الكبر حتى نكون على بينة من شروره؟!

« عن أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً يَرْفَعُهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ اللَّهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ ^(١).
وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ ^(٢). »

ولو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس عليها باب، ولا كوة، لخرج ما غيبه ^(٣) للناس كائناً ما كان .

وإليك حديثاً عجيباً، فيه أسرار النفس البشرية... لمن أراد أن يتعلم أو يتأدب!!!

« عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لا أعلمه إلا رفعه قال: يقول الله تبارك وتعالى: « مَنْ تَوَاضَعَ لِي هَكَذَا (وَجَعَلَ يَزِيدُ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَيَّ

(١) أي يجعله في أعلى منزلة وأرفعها.

(٢) أي يجعله في أحط مكان وأسفله.

(٣) أي أخفاه من عمله وستره.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده
الأرض وأدناها^(١) رفعتة هكذا (وَجَعَلَ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ،
وَرَفَعَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ) .

رواه أحمد، والبخاري، ورواهما محتجّ بهم في الصحيح، ولفظه:

« قال عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه على المنبرِ: أَيُّهَا النَّاسُ تَوَاضَعُوا،
فإني سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقولُ: « مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ وَقَالَ:
اِنْتَعِشْ نَعَشَكَ اللَّهُ فَهُوَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ عَظِيمٌ وَفِي نَفْسِهِ صَغِيرٌ
وَمَنْ تَكَبَّرَ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَقَالَ: اِحْسَبْ فَهُوَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرٌ، وَفِي
نَفْسِهِ كَبِيرٌ. »

وقالوا في شرح الحديث العظيم: تواضعوا: تخلّقوا بهذا الخلق
الكريم الذي يحبه الله عز وجل.

من تواضع لله: لأجل عظمة الله وخشيته.

(١) أي قربها إلى الأرض.

رفعه الله: زاده مهابة في نفوس الخلق، ورفع درجته في الآخرة.

انتعش: ارتفع وانهض من عثرتك.

في أعين الناس عظيم: مهيب جليل.

في نفسه صغير: لأنه شاعر بأنه عبد ذليل.

قصمه الله: أي أهانه وأذلّه، وقيل قرب موته.

اخسأ: ابعده، يقال: خسأت الكلب أي طردته وأبعده،
والخاسئ المبعد.

ثم أقول: هذا حديث خير من الدنيا وما فيها!!!

انظر إلى الكشاف الذي يضعه بين يديك... فتبدو أمامك
الحقائق عارية بلا غطاء!

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

أنى للناس هذا المستوى الأعلى من العلوم... إلا إذا
استمعوا إلى النبي ﷺ... فيعلم ما لم يكونوا يعلمون؟!!

إلا أن السائل ما زال يسأل: ما هو الكبر؟!

الجواب هو هذا الحديث: « عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن
النبي ﷺ قال: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ
» فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ
حَسَنَةً؟

« قال: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ^(١) الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ
النَّاسِ ^(٢) ». » .

« بَطْرُ الْحَقِّ » : هو دفعه وردة.

« وَغَمَطُ النَّاسِ » : هو احتقارهم وازدراؤهم.

(١) أي حسن الأفعال كامل الأوصاف.

(٢) أي جحود الحق وظلم الناس.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

« وقد رواه الحاكم فقال: ولكن الكبر من بطر الحق، وازدري الناس »^(١).

هذا هو الكبر، كما بينه رسول الله ﷺ ... إنه شعبتان
خبثتان:

الأولى: بطر الحق.

الثانية: غمط الناس.

بطر الحق يدفعه إلى دفع ورد الحق... يدفعه إلى إنكار لا إله
إلا الله وجميع فروعها، من الرسل والكتب وسائر الغيبات... إنه
مستكبر يأنف أن يقر بالحق!!!

والثانية تدفعه إلى احتقار الناس وازدراؤهم... لأنه يرى نفسه
خييرا منهم وأرفع!!!

(١) أي احتقرهم واستخف بهم.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

إنه يعبد نفسه ﴿ أَرَعَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ
عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴾ ؟

وإذا بين ﷺ أمراً... وَجَبَّ الْوَقُوفَ عِنْدَهُ ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ
الْهَوَىٰ ﴾ !!!

سُبْحَانَ ..

الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحَ إِلَّا لَهُ

سُبْحَانَهُ .. ؟ !

ثم ماذا؟!

ثم استمع إلى الجمال الشعشعاني يتلأأ من هذا الحديث:

« عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ - هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ
ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَيْلَةً حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ
يَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي

وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي

وَتُلْمُ بِهَا شَعَثِي

وَتُصْلِحُ بِهَا غَائِبِي

وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي

وَتُرَكِّي بِهَا عَمَلِي

وَتُلْهِمُنِي بِهَا رَشْدِي

وَتَرَدُّ بِهَا أُلْفَتِي

وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ

اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيمَانًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ

وَرَحْمَةً أَنَا لِبِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ فِي الْعَطَاءِ - (وَيُرْوَى فِي الْقَضَاءِ)

وَنُزْلَ الشُّهُدَاءِ

وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ

وَالنَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أُنزِلُ بِكَ حَاجَتِي،

وَإِنْ قَصُرَ رَأْيِي، وَضَعُفَ عَمَلِي

افْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ

فَأَسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ الْأُمُورِ،

اللَّهُمَّ ذَا الْحَبْلِ الشَّدِيدِ،

وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ، أَسْأَلُكَ الْأَمَّنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ

وَالجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ، مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ؛ الرِّكَعِ السُّجُودِ

الْمُوفِينَ بِالْعُهُودِ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ،

وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ

مُهْتَدِينَ، غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ

سِلْمًا لِأَوْلِيَائِكَ وَعَدُوًّا لِأَعْدَائِكَ

نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَحَبَّكَ

وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ

اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ وَعَلَيْكَ الِاسْتِجَابَةُ

وَهَذَا الجَهْدُ وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَبْرِي

وَنُورًا فِي قَلْبِي، وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ،

وَنُورًا مِنْ خَلْفِي، وَنُورًا عَنْ يَمِينِي،

وَنُورًا عَنْ شِمَالِي، وَنُورًا مِنْ فَوْقِي،

وَنُورًا مِنْ تَحْتِي، وَنُورًا فِي سَمْعِي،

وَنُورًا فِي بَصْرِي، وَنُورًا فِي شَعْرِي،

وَنُورًا فِي بَشْرِي، وَنُورًا فِي لَحْمِي،

وَنُورًا فِي دَمِي، وَنُورًا فِي عِظَامِي

اللَّهُمَّ أَعْظِمْ لِي نُورًا، وَأَعْطِنِي نُورًا،

وَأَجْعَلْ لِي نُورًا

سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ الْعِزَّ وَقَالَ بِهِ

سُبْحَانَ الَّذِي لَبَسَ الْمَجْدَ وَتَكَرَّمَ بِهِ

سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ

سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنَّعْمِ

سُبْحَانَ ذِي الْمَجْدِ وَالكَرَمِ

سُبْحَانَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

ثم أقول: هذا الحديث العظيم، يمكن لمؤلف عبقرى أن

يُسَطِّرَ مِنْهُ كِتَابًا ضَخْمًا خَالِدًا !!

لكن الهدف من هذا الكتيب هو تتبع شواهد نظرية « وإن

مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ » ...

وها هي تلك الشواهد تتلأأ بأنوارها في خواتيم الحديث ستّ

مرّات ...

الأولى ... سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ الْعِزَّ وَقَالَ بِهِ

الثانية ... سُبْحَانَ الَّذِي لَبَسَ الْمَجْدَ وَتَكَرَّمَ بِهِ

الثالثة ... سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ

الرابعة ... سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنَّعَمِ

الخامسة ... سُبْحَانَ ذِي الْمَجْدِ وَالكَرَمِ

السادسة ... سُبْحَانَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ !!

شواهد ناطقة ... وليس بعد تسبيح النبي ﷺ تسبيح !!

التسبيح . . .

لغة مشتركة . . .

بين جميع الكائنات . . . ؟ !

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

ظاهرة عجيبة... أن « سُبْحَانَ اللَّهِ » ... يقولها كل كائن في

هذا الوجود !!!

قد تختلف لغة هذا الكائن عن ذلك...

إلا أن جميع الكائنات تتحد في قولها « سُبْحَانَ اللَّهِ » !!!

وهذه الظاهرة سجلها كتاب الله في قوله ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ...

ولكن الناس يريدون دلائل أخرى لتطمئن قلوبهم...

فما هي هذه الدلائل؟!

نبدأ بأكبر كائن في عيون الناس... السماوات والأرض، قال

تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ [الإسراء 44]

بل وجميع الكائنات غير الملائكة التي تسكن السماوات والأرض... تسبح هي الأخرى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر 1]

ولكن هل ما هو أكبر من السماوات والأرض يسبح كذلك؟ نعم... ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ... ﴾

[غافر 7]

بل والملائكة العظام الحافون من حول العرش يسبحون كذلك: ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِّقِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ... ﴾ [الزمر 75]

بل وجميع أنواع الملائكة في جميع أنحاء الأكوان يسبحون ربهم: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ... ﴾

[الشورى 5]

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

فإذا انتقلنا إلى الكرة الأرضية ومن فيها من كائنات وجدناها
منتظمة بكائناتها على ناموس التسبيح: جبالها... بحارها...
حيوانها... أطيارها... أشجارها... أزهارها... والآدميون بعد ذلك
مسبحون...

وقد مر علينا نصوص كثيرة تؤكد هذا الكلام...

مر علينا تسبيح الجبال والطير مع داود عليه السلام...

ومر علينا سماع يونس عليه السلام تسبيح الأرض حين هوى به
الحوت إلى القاع... فسمع تسبيحها وتسبيح دواب البحر!!!

ومر علينا تسبيح الطعام بين يدي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم
يطعمون!!!

ونقرأ في القرآن العظيم حوار الهدد مع سليمان... وسماع
سليمان حديث النملة وهي تنادي قومها: ﴿يَأْتِيهَا التَّمْلُ أَدْخُلُوا
مَسْكِنَكُمْ﴾... مسألة مستفيضة، مسألة تسبيح جميع كائنات

وإن من شيء إلا يسبح بحمده
الكرة الأرضية بحمد ربها... والنصوص في ذلك كثيرة، والشواهد
متزاحمة... ليست في حاجة إلى مزيد...

وخلاصة ذلك كله أن جميع الكائنات على مستوى الوجود
كله... تسبح بحمد ربها... فرادى وجماعات...

كل فرد منفرداً له تسبيحه الخاص به... ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ
وَتَسْبِيحَهُ﴾

وفي نفس الوقت التسبيح الذي يصدر عن الفرد، يكون نغماً
منسجماً مع تسبيح جميع كائنات الوجود...

بحيث يكون ذلك كله، نشيداً كونياً، يعرف فيه كل كائن نغمه
الخاص به!!!

انظر جمال التدبير... كل فرد يؤدي تسبيحه... يعزف نغمه...

ثم تتضام جميع تسابيح جميع الكائنات، وتتصاعد متموجة إلى
ربها، نشيداً واحداً متناغماً، تؤديه جميع الكائنات!!!

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

وبلغ الجمال والكمال حدًا لا تدركه العقول... أن حجبَ
سبحانه تسبيح كل كائن... عن تسبيح الكائنات الأخرى...
﴿وَلَكِنَّ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لأن المخلوق مهما بلغت طاقته لا
يطيق ولا يحتمل أن يسمع أصوات جميع الكائنات في وقت واحد...
ولكن الله وحده هو الذي يسمع تسبيح جميع الكائنات في
آن!!! سبحان الله!!!

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ...

وَأَسْتَغْفِرُهُ^ج ...

إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ...

استفاض الحديث في قضية ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ... وَإِنْ أُوَانَ الإِجَابَةَ عَلَى سِوَالٍ يَسْأَلُهُ كُلُّ إِنْسَانٍ: كَيْفَ يَسْبِحُ الإِنْسَانُ رَبَّهُ، وَمَا هُوَ أَسْلُوبُ التَّطْبِيقِ الْعَمَلِيِّ لِذَلِكَ التَّسْبِيحِ؟!
الجواب هو ما جاء في هذا الباب... اللهم توفيقاً منك يا عزيز يا وهَّاب.

قال تعالى:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾

[النصر ١ - ٣]

وقالوا في تفسير السورة:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ نبيه ﷺ على أعدائه.

﴿ وَالْفَتْحُ ﴾ فتح مكة.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي الإسلام.

﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات، بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد. وذلك بعد فتح مكة جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي متلبسًا بحمده.

﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قول : سبحان الله وبحمده، استغفر الله وأتوب إليه. وعلم بها أنه قد اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان. وتوفي في ربيع الأول سنة عشر.

وجاء في (الدر المنثور في التفسير المأثور) للسيوطي، في مأثورات تفسيرها:

«عن ابن عباس قال: أنزل بالمدينة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾»

« وعن عمر قال: هذه السورة نزلت على النبي ﷺ أوسط أيام التشريق بمنى وهو في حجة الوداع^(١) ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ حتى ختمها، فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع. »

« وعن مجاهد في قوله ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قال: فتح مكة ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ قال: اعلم أنك ستموت عند ذلك. »

« وعن الضحاك في قوله ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قال: كانت هذه السورة آية لموت النبي ﷺ »

وعن قتادة في قوله ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قال: ذكر لنا أن ابن عباس قال: هذه السورة علم وحد، حده الله لنبيه ونعى نفسه، أي أنك لن تعيش بعدها إلا قليلاً.

(١) جاء في تفسير الجلايين: « نزلت بمنى في حجة الوداع، فتعد مدينة، وهي آخر ما نزل من السور وآياتها ثلاث. »

قال قتادة: والله ما عاش بعدها إلا قليلاً، سنتين ثم توفي. »

« وعن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾

قال رسول الله ﷺ: « نعتت إلى نفسي، إني مقبوض في تلك السنة. »

« وعن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾

قال رسول الله ﷺ: « نعتت إلى نفسي وقرب أجلي »

« وعن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت هذه السورة ﴿ إِذَا

جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها ثم قال: « أنا

وأصحابي خير، والناس خير، لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية »

« وعن ابن عباس قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة

حنين أنزل عليه ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فقال رسول الله ﷺ:

« يا علي بن أبي طالب، يا فاطمة بنت محمد، جاء نصر الله

والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فسبحان ربي

وبحمده، وأستغفره إنه كان تواباً. »

وعن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾

دعا رسول الله ﷺ فاطمة فقال: « إنه قد نعيت إلي نفسي » .

« وعن ابن عباس: أن عمر سألهم عن قول الله ﴿ إِذَا جَاءَ

نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فقالوا: فتح المدائن والقصور .

قال: فأنت يا ابن عباس ما تقول؟

قال: قلت: مثل ضرب لمحمد، نعيت له نفسه. »

« وعن ابن عباس في قوله ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قال:

ذاك حين نعى لهم نفسه يقول: إذا رأيت الناس يدخلون في دين

الله أفواجًا، يعني إسلام الناس، يقول: فذلك حين حضر أجلك

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ »

« وعن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت من القرآن جميعًا

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ . »

« وعن ابن عباس قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح فتح مكة، فخرج من المدينة في رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف، وذلك على رأس ثماني سنين ونصف سنة من مقدمة المدينة، وافتتح مكة ثلاث عشرة بقين من رمضان » .

« عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يكثر من قول: سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب إليه.

فقلت: يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب إليه؟

فقال: خبرني أني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب إليه. فقد رأيتها ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فتح مكة ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

« وعن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي »

« يتأول القرآن يعني ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ . »

« وعن عائشة قالت: ما سمعت رسول الله ﷺ منذ أنزلت عليه

هذه السورة ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ إلا يقول مثلهما:

« سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي »

« وعن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ في آخر عمره، لا

يقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجيء إلا قال: « سبحانك اللهم

وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك »

فقلت له

قال: إني أمرت بها. وقرأ ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ إلى آخر

السورة . »

« وعن ابن مسعود قال: لما نزلت ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ

وَالْفَتْحُ ﴾ كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: « سبحانك اللهم وبحمدك،

اللهم اغفر لي، إنك أنت التواب الغفور . »

وعن ابن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول:

« سبحانك ربنا وبحمدك »

فلما نزلت ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قال: « سبحانك اللهم

ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، إنك أنت التواب الرحيم. »

وعن أبي هريرة قال: « قال رسول الله ﷺ: ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ

يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ فقال: ليخرجن منه أفواجًا كما دخلوا

فيه أفواجًا. »^(١)

وعن الفضيل بن عياض قال: لما نزلت ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ

وَالْفَتْحُ ﴾ إلى آخر السورة قال محمد ﷺ: « يا جبريل نعتت إلى

نفسي » قال جبريل: « الآخرة خير لك من الأولى. »

« وعن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ

اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ وجاء أهل اليمن، رقيقة أفئدتهم وطباعهم، سجية

(١) إشارة إلى ارتداد العرب بعد وفاته ﷺ.

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

قلوبهم، عظيمة حسنتهم، دخلوا في دين الله أفواجاً » .

والآن : هل جاءك جواب سؤال: كيف يسبح الإنسان ربه

سبحانه؟!

اللهم إنا نُشْهِدُكَ، ونشهد حملة عرشك، وملأكتك وجميع خلقك...

أَنْ رَسُولَكَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ

وَسَلَامٍ قَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَبَلَغَ الرِّسَالَةَ!!!

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ

القاهرة - الروضة

رمضان ١٤١٨ هـ

يناير ١٩٩٨ م

سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك

فهرس

رقم الصفحة	البیان
٦	حَبِيبَانِ .. إِلَى الرَّحْمَنِ ..؟!
١٠	وإن .. من .. شيءٍ..؟!
١٨	نماذج ... من كَشَفَ ... الحجاب..؟!
٢٨	عندما قال .. الْجَبَلُ وَالشَّجَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.. وَمُعْجَزَاتُ أُخْرَى..؟!
٤٢	سُبْحَانَ اللَّهِ...عَدَدَ خَلْقِهِ..؟!
٥٢	سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ... صَلَاةُ الْخَلْقِ...وَبِهِمَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ .؟
٦٠	الذين يحملون العرش ... ومن حوله ... يسبحون بحمد ربهم..؟
٦٤	جَنَّتِ التَّعِيمِ ... دَعْوَتُهُمْ فِيهَا .. سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ .. وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ .؟!
٧٠	سُبْحَانَ ... الَّذِي خَلَقَ ... الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ...؟!
٧٦	من دلائل ... الإعجاز...!!؟
٨٠	سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى ... عَمَّا يَقُولُونَ ... عَلُوًّا كَبِيرًا ...؟!

رقم الصفحة	البيان
٩٤	ماذا ... يقولون...؟!
١٠٠	وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ... وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ...؟!
١٠٨	وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ... وَالْمَلَأَتِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ...؟!
١١٦	لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ... سُبْحَانَكَ ... إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ...؟!
١٣٠	(فسمع تسبيح الأرض)
١٣٢	(هذا تسبيح دواب الأرض؟!)
١٣٤	(عندما سمع يونس <small>عليه السلام</small> تسبيح الحصى في قاع البحر؟!)
١٤٤	اسْتَكْبَرُوا.. مِنَ الْبَاقِيَاتِ.. الصَّالِحَاتِ ..
١٥٨	أَتَجْعَلُ فِيهَا... مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا.. وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ؟!
١٧٢	فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا.. فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ.. يُسَبِّحُونَ لَهُ.. بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ..؟!
١٧٦	الْكِبْرُ.. أَعْظَمُ الْجِرَائِمِ..؟!
١٩٢	سُبْحَانَ.. الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ سُبْحَانَهُ..؟!
٢٠٠	التسبيح... لُغَةٌ مشتركة... بَيْنَ جميع الكائنات..؟!
٢٠٦	فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ... وَأَسْتَغْفِرْهُ... إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ...

قائمة مؤلفات الكاتب محمود شلبي

● القرآن الكريم

١	الجزء (١ و ٢) من تفسير القرآن العظيم	دار الفكر . عمان
٢	عجائب بسم الله الرحمن الرحيم	المكتبة العصرية
٣	تفسير الفاتحة	دار المعرفة
٤	تفسير آية الكرسي	دار المعرفة
٥	تفسير جزء عم	دار المعرفة
٦	إشعارات كلام الله (١ - ٢)	المكتبة العصرية
٧	ولقد نادانا (دعاء القرآن)	المكتبة العصرية
٨	آيات سجود القرآن	دار الجيل . لبنان

● محمد صلى الله عليه وسلم

٩	حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)	دار الجيل . لبنان
١٠	حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرنسي	دار الجيل . لبنان
١١	شخصية محمد (١)	الدار التونسية
١٢	شخصية محمد (محمد وتنظيم الحياة ٢)	الدار التونسية
١٣	شخصية محمد (محمد وتحرير الإنسان ٣)	الدار التونسية
١٤	شخصية محمد (محمد والجهاد ٤)	الدار التونسية
١٥	شخصية محمد (محمد ومكارم الأخلاق ٥)	الدار التونسية
١٦	شخصية محمد (محمد المصلح الرحيم ٦)	الدار التونسية
١٧	شخصية محمد (محمد معالج الروح والجسد ٧)	الدار التونسية
١٨	شخصية محمد (محمد معدن الإيمان ٨)	الدار التونسية
١٩	شخصية محمد (محمد المرئي الأمين ٩)	الدار التونسية
٢٠	شخصية محمد (محمد سيد الناس ١٠)	الدار التونسية
٢١	شخصية رسول الله (١-٤ أجزاء)	دار الجيل . لبنان

مكتبة الآداب	٢٢	صلاة رسول الله
مكتبة الآداب / دار المعرفة	٢٣	صيام رسول الله (صلى الله عليه و سلم)
مكتبة الآداب	٢٤	دعاء رسول الله
المكتبة العصرية	٢٥	صوت النبي (١)
مكتبة عز الدين	٢٦	نبي الحياة
المكتبة العصرية	٢٧	محمد ... حق
(مكتبة القاهرة) على يوسف سليمان	٢٨	من دعاء رسول الله

● من سير الانبياء

دار الجيل . لبنان	٢٩	حياة آدم
دار الجيل . لبنان	٣٠	حياة نوح
دار الجيل . لبنان	٣١	حياة إبراهيم
دار الجيل . لبنان	٣٢	حياة موسى
دار الجيل . لبنان	٣٣	حياة المسيح
دار الجيل . لبنان	٣٤	حياة إسماعيل
دار الجيل . لبنان	٣٥	حياة يوسف
دار الجيل . لبنان	٣٦	حياة داود
دار الجيل . لبنان	٣٧	حياة سليمان
دار الجيل . لبنان	٣٨	حياة أيوب
دار الجيل . لبنان	٣٩	حياة يحيى
دار الجيل . لبنان	٤٠	حياة يونس

● من سير شخصيات ذكرت في القرآن

دار الجيل . لبنان	٤١	حياة مريم
دار الجيل . لبنان	٤٢	حياة أسية امرأة فرعون
دار الجيل . لبنان	٤٣	حياة الخضر

دار الجيل . لبنان	حياة أصحاب الكهف	٤٤
دار الجيل . لبنان	حياة أهل الجنة	٤٥
مكتبة الآداب	إصدار سابق للكتاب (معجزة القرآن في جنة الرضوان)	
دار المعرفة	إصدار سابق للكتاب (الحياة في الجنة)	

● من سير الصحابة

دار الجيل . لبنان	حياة أبي بكر	٤٦
دار الجيل . لبنان	حياة عمر	٤٧
دار الجيل . لبنان	حياة عثمان	٤٨
دار الجيل . لبنان	حياة الإمام على	٤٩
دار الجيل . لبنان	حياة بلال	٥٠
دار الجيل . لبنان	حياة أبي هريرة	٥١
دار الجيل . لبنان	حياة سعد بن معاذ	٥٢
دار الجيل . لبنان	حياة أبي ذر	٥٣
دار الجيل . لبنان	حياة مصعب بن عمير	٥٤
دار الجيل . لبنان	حياة سعد بن ابى وقاص	٥٥
دار الجيل . لبنان	حياة أبي عبيدة بن الجراح	٥٦
دار الجيل . لبنان	حياة خالد	٥٧
دار الجيل . لبنان	حياة عمرو بن العاص	٥٨
دار الجيل . لبنان	حياة سلمان الفارسي	٥٩
دار الجيل . لبنان	حياة عبد الله بن مسعود	٦٠
دار الجيل . لبنان	حياة أبن عباس	٦١

دار الجيل . لبنان	حياة ابن عمر	٦٢
دار الجيل . لبنان	حياة حمزة بن عبد المطلب	٦٣
دار الجيل . لبنان	حياة جعفر بن ابي طالب	٦٤

• من سير أمهات المؤمنين

دار الجيل . لبنان	حياة أم المؤمنين خديجة	٦٥
دار الجيل . لبنان	حياة عائشة أم المؤمنين	٦٦

• من سيرة اهل البيت

دار الجيل . لبنان	حياة فاطمة	٦٧
دار الجيل . لبنان	حياة الحسين	٦٨

• من سير أعلام التاريخ الإسلامي

دار الجيل . لبنان	حياة عمر بن عبدالعزيز	٦٩
دار الجيل . لبنان	حياة الإمام جلال الدين السيوطي	٧٠
دار الجيل . لبنان	حياة سلطان العلماء العز بن عبد السلام	٧١
دار الجيل . لبنان	حياة طارق بن زياد	٧٢
دار الجيل . لبنان	حياة صلاح الدين	٧٣

• سير متنوعة

دار الجيل . لبنان	حياة الملك المظفر قطز	٧٤
دار الجيل . لبنان	حياة الملك الظاهر بيبرس	٧٥
دار الجيل . لبنان	حياة شجرة الدر	٧٦
دار الجيل . لبنان	حياة عمر المختار	٧٧

• تأملات إيمانية

دار الجيل . لبنان / دار الفكر	٧٨	إني لأجد ريح يوسف
دار المعرفة	٧٩	من الظلمات الي النور
دار المعرفة	٨٠	يسألونك عن الروح
المكتبة العصرية	٨١	إذا البحار فُجرت
المكتبة العصرية	٨٢	ففهمناها
المكتبة العصرية	٨٣	مائدة من السماء
المكتبة العصرية	٨٤	ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً
المكتبة العصرية	٨٥	وشاهد ومشهود
المكتبة العصرية	٨٦	ليس كمثل شئ
المكتبة العصرية	٨٧	ذو الجلال والاکرام
المكتبة العصرية	٨٨	يريدون وجهه
دار المعرفة	٨٩	هذا عطاؤنا
دار المعرفة	٩٠	في ظلال و عيون
دار المعرفة	٩١	فأطعمناكموه
دار المعرفة	٩٢	المفاتيح العلى
دار المعرفة	٩٣	لستم على شئ
دار المعرفة	٩٤	فأسقيناكموه
دار المعرفة	٩٥	فلماً تجلى
دار المعرفة	٩٦	كؤوس الحب الإلهي
دار المعرفة	٩٧	بين يدي رحمته

دار المعرفة	هذا الشيء العجيب	٩٨
دار المعرفة	على شاطئ البحر	٩٩
المكتبة العصرية	ماينفع الناس	١٠٠
المكتبة العصرية	بين الخضر و موسى (الحقيقة و الشريعة)	١٠١
المكتبة العصرية	نقرة عصفور	١٠٢
المكتبة العصرية	إشعاعات الحج	١٠٣
المكتبة العصرية	لطائف التوحيد	١٠٤
نخضة مصر	سر المرأة	١٠٥

• إصدارات حديثة (بعد رحيل الكاتب)

تم إصدار النسخ الإلكترونية لهذه المجموعة بواسطة الأوصياء على النشر أبناء المؤلف

الأوصياء على النشر	إنسانيات عمر	١٠٦
الأوصياء على النشر	منتخب الترغيب والترهيب	١٠٧
الأوصياء على النشر	الإسراء والمعراج	١٠٨
الأوصياء على النشر	الرحمة المكنونة في شعائر الله	١٠٩
الأوصياء على النشر	تفسير أعظم الآيات	١١٠
الأوصياء على النشر	وإن من شيء إلا يسبح بحمده	١١١
الأوصياء على النشر	البكائين السبعة	١١٢
الأوصياء على النشر	الإنسان كما وصفه القرآن	١١٣
الأوصياء على النشر	حياة عبد الرحمن بن عوف	١١٤
الأوصياء على النشر	حياة الامام الحسن	١١٥

المختار من الأذكار	١١٦	الأوصياء على النشر
حياة ابليس	١١٧	الأوصياء على النشر
حياة زيد بن حارثة	١١٨	الأوصياء على النشر

• تحت الإعداد للنشر

تفسير القرآن الكريم (ثلاثون جزء)	١١٩	الأوصياء على النشر
----------------------------------	-----	--------------------

اللهم ... منك ... وإليك



الكاتب هو المفكر الإسلامي المعاصر محمود شلبي، ولد في فبراير ١٩٢٢ وتوفي في يونيو ٢٠٠٦ تاركاً وراءه أكثر من ١٥٠ مؤلفاً نشر منها ما يزيد عن المائة تزخر بها المكتبات الإسلامية mahmoud-shalaby.com

ماذا في هذا الكتاب

فيه عجائب نظرية عجيبة !!!
نظرية " وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ " !!!
فإن كنت في شك فأقرأ هذا الكتاب تكتشف عجباً !!!
عندما قال الجبلُ و الشجرُ و الحَجَرُ: السلامُ عَلَيْكَ يا رسولَ الله !!!
عجائب قوله تعالى: " إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ
وَالإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَابٌ "
عجائب ما جاء في الحديث: "سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، فَإِنَّهَا صَلَاةٌ كُلُّ
شَيْءٍ ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ " !!!
" الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ "
" فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ "
متى قال جبريل عليه السلام: وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ
المُسَبِّحُونَ " !!!?
" وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ.. .. كيف؟ !!!
عندما سمع يونس عليه السلام تسبيح الحصى في قاع البحر !!
" فَنادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ."
" استكثروا مِنَ الباقياتِ الصَّالِحَاتِ " ... قول من هذا ؟ ... وما هن؟!
وعجائب أن جميع الكائنات، على مستوى الوجود كله، تقول:
سبحان الله وبحمده !!!
" وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ... وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ " !!!